السماحة فى الأديان

ودورها فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية

المؤلف

السيد الصوري

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

وعضو النقابة العامة للعاملين بالصحافة والطباعة والإعلام

مقدمة الكتاب

بسم الله ... والحمد لله ... والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وبعد

فإن حركة المجتمعات لا تهدأ .. صعوداً .. أو هبوطاً وهذه الحركة سنه من سنن الله فى خلقه لا تتخلف ولا تتأخر كما قال الحق سبحانه وتعالى ((وتلك الأيام نداولها بين الناس)) والمجتمعات الإسلامية .. والعربية .. تشهد اليوم حركة دائبة مستمرة للخروج مما هى فيه من تأخر وتخلف وتناحر وتخرب والحركة الأهم هى هذه الحركة التنموية الكبرى التى تشهدها تلك المجتمعات فيما يعرف بالتنمية بشقيها الإقتصادى والإجتماعى .

وهذه الحركة تحتاج إلى بيئة اجتماعية مواتية حتى تتحقق أهداف هذه التنمية وتؤتى ثمارها المرجوه ولابد لهذه الحركة الاجتماعية أن تكون محكومة بالكثير من القواعد والآداب التى تمكنها بالفعل - من تحقيق برامج التنمية وخططها .

وهنا - يأتي دور الأديان في ضبط سلوكيات المجتمع وفق مبادئ الدين وتعاليمه وقيمه وما يريد أن يغرسه فى نفوس أصحابه من قواعد ثابتة .

وأن من نعم الله على البشر أن بعث فيهم الرسل والأنبياء ليجددوا العهد مع الله .. بل وضحت الأديان جميعها أن حقوق العباد على العباد من الأمور التى لا تغفر إلا أن يعفو المظلوم عمن ظلمه .

والأمر الذى لا خلاف عليه ولا جدال فيه أن دعوة الرسل والأنبياء من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم واحدة ..لا يوجد أى إختلاف بينهما فى الأصول التى تبنى عليها هذه الأديان .

نعم .. توجد هناك اختلافات في الفروع بسبب اختلاف الزمان والمكان – لكن يبقى أصل الأديان واحد .

يقول الحق سبحانه وتعالى ...

﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾[١]

ولقد اقتضت حكمة الخالق سبحانه أن جعل التدين فطرة مركوزة فى نفس البشر أجمعين .. فالفرد يمكن أن يحيا بغير منزل وبغير أسرة

---

[١] سورة الشورى الآية ١٣

وبغير الكثير والكثير . لكن لا يمكن أن يحيا بغير دين يؤمن به وبقيمه وإن لم يوجد هذا الدين فإن الفرد يختلقه من تلقاء نفسه .

ولهذا جاءت الأديان كلها بما يتوافق مع فطرة البشر جميعاً .. وجاء كل دين ليخاطب فى النفس البشرية هذه الفطرة السوية المستقيمة

جاءت الأديان متمشية مع الفطرة .. ولا تتصادم مع الفطرة لا من قريب ولا من بعيد .

وفى هذا يقول الحق سبحانه وتعالى .. ((فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) [٢]

فالدين عقيدة .. أمر إلهى مستقر فى صميم الفطرة البشرية لا تشذ عنه نفس إنسانية سوية .

يقول الإمام الشيخ / محمد عبده موضحاً ذلك الأمر صرح الإسلام تصريحاً لا يحتمل الريبة (الشك) بأن دين الله واحد فى جميع الأزمان وعلى ألسن جميع الأنبياء ...

---

[٢] سورة الروم الآية ٣٠

قال الله – سبحانه وتعالى ((إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا)) (٣)

والمعنى أوحينا إليك كما أوحينا إلى جميع الأنبياء ومثاله فى جنسه وموضوعه والغرض منه أى أنهم يصدرون عن نبع واحد .

وإذا كان الأمر كذلك فإن الأمر يقتضي التعاون بين أصحاب الديانات .. لا التفرق . فهم جميعاً متفقون فى اصل الدين ...

وإن جميع أصحاب الديانات السماوية الثلاث مدعوون إلى التقارب ونبذ التباغض وإحلال روح السماحة والتسامح بينهم .. بدلاً من سيادة هذا التعصب الأعمى الذي لا يجنى الجميع من ورائه إلا الشوك والحنظل ..

وأن سيادة روح السماحة وتقبل الآخر وإعطائه حقوقه الإنسانية التي أمرت بها الأديان لهو الكفيل بإقامة حياة حرة كريمة للجميع .. لا فرق بين هذا وذاك .

---

(٣) سورة النساء الآية ١٦٣

لقد حضت الأديان جميعاً على التعايش السلمى والسلام الإجتماعى والسماحة والتسامح لا فرق بين بعضها البعض فهذا دين وهذا دين .. ولكننا فوجئنا بمن يؤخر نصوص السماحة والتسامح ويظهر من نفسه تشدداً فى غير محله مما يجعل التعصب أمر لا مفر منه ولا بديل عنه أمام الجميع .

ونحن هنا لابد أن نذكر أن مصر لها وضعها الخاص وخصوصيتها المتميزة فى مجال السماحة والتعايش السلمى والتكامل الإجتماعى .

فالشعب المصرى شعب مسالم بطبيعته متسامح بعقيدته استطاع أن يفقه ما تدعو الأديان إليه وأن يجعله سلوكاً حياتياً وواقعاً فعلياً للحياة سلوكاً مستمراً بلا تفرقه بين فرد وفرد بسبب دينه كلا .. فالجميع أبناء هذا الوطن .

وإنك لتعجب حينما ترى بيوت المسيحيين تتلاصق مع بيوت المسلمين .. وترى المسلم صديقاً قوياً للمسيحى .. يتعامل الجميع فى حياتهم اليومية دون أن يضعوا هذا الأمر فى حساباتهم فالدين كله لله والوطن للجميع أياً كانت ديانته ومعتقده .. وهذا هو سر تماسك المجتمع المصري وقوة روابطه وعلاقاته .

منهج الكتاب

ولقد ألزمت نفسي أثناء الإعداد لهذا الكتاب ألا يكون الكلام على عواهنه .. دون مراجع .. كلا بل يكون ما نقوله فى هذا الكتاب مؤيداً بالنصوص من داخل الكتب المقدسة نفسها(التوراة - الإنجيل - والقرآن)

وذلك حتى تتضح الصورة التي أردت أن أبرزها بعد أن كادت أن تطمس .. ألا وهى صورة السماحة بين الأديان صورة كاملة متكاملة ترسمها الأديان .. لأنها تعترف بأن النبي - أى نبى - ليس عليه هداية الناس أجمعين .. ولكن عليه تبليغ رسالة ثم يترك أمر الهداية لله سبحانه وتعالى فهو وحده الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء .. وهذا يستلزم بالتالي وجود مؤمنين وغير مؤمنين ثم يأمرهم بالمعاملة الحسنة الطيبة وبالكلمة الطيبة مع إتباعهم ومع مخالفيهم . فالهدى أولاً وأخيراً .. هدى الله .

ولقد قسمت هذا الكتاب إلى بابين وخمسة فصول:-

فى البـاب الأول تحدثت عن السماحة بين الأديان . وهذا أمر يستلزم ذكر كل ما يحض على السماحة والتسامح بين الأديان السماوية .

بدأت بالحديث فى الفصل الأول – عن السماحة فى اليهودية وهو أمر غريب أن تسمع – مجرد سماع عن نصوص يذكر فيها السلام

والسماحة فى الديانة اليهودية رغم ما نراه الآن من سلوكيات اليهود التى لا تتفق مع تعاليم أى دين – أن العالم الآن يرى اليهود فى أقبح صورة ممكنة .. فليس من الممكن أن يكون دينهم يحض على السماحة ناهيك عن الأخلاقيات الطيبة ؟ . لكن .. الأمر غير ذلك تماماً .

فاليهودية دين .. دين سماوى به كل ما جاءت به تعاليم الأديان اللاحقة هى نفسها التى جاءت فى تعاليم اليهودية من حضن على المحبة والتسامح والسماحة ومعاملة المخالفين معاملة حسنة .

وما أثبتناه فى الصفحات اللاحقة يؤكد هذا الأمر من داخل نصوص الكتاب المقدس (العهد القديم) والتى تؤكد على دور السماحة والتسامح بين اليهود وبين مخالفيهم أما ما نراه من تشدد فهو أمر خارج عن تعاليم الأديان جميعها .. وهو ليس فى الكتاب المقدس بل فى عقول حاخامات اليهود الذين أشعلوها حرباً عنصرية بينهم وبين بقية الأديان .

أما الفصل الثاني - من الباب الأول فخصصته للحديث عن المسيحية والتسامح وهو أمر تكاد تنطق به جميع وصايا المسيح عليه السلام .. تجد ذلك فى تعاليم السيد المسيح عليه السلام وفى مواعظه وفى جميع حياته القصيرة التي عاشها فقد كانت مثالاً فعلياً على السماحة والتسامح ولا يخفى ذلك على أحد .. ولا تحتاج إلى كثير بيان .

أما الفصل الثالث - من الباب الأول - فقد جعلته خاصاً بالسماحة والتسامح فى الإسلام فالقرآن الكريم – كتاب المسلمين مازال موجوداً لم يلحقه تحريف أو تغيير وآياته كلها تدل على هذا الأمر .. ولقد كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم مثالاً مستمراً على هذه الدعوة للسماحة وتعاليم النبي . تنطق بذلك .

أما الباب الثاني فكان عن التنمية بشقيها – الاقتصادية – والاجتماعية ودور سماحة الأديان فى نجاح برامج التنمية وإستمراريتها وأيضاً أهمية الأخلاق فى استمرار الإقتصاد وتأديته لدوره داخل المجتمع

وبعد . . .

أن السماحة هي خلق الدين وهى رابطة المجتمع المسلم ورابطة أهل الأديان ببعضهم . وسيادة هذه الروح كفيلة باستمرارية المجتمع وحركته ونموه واستقراره . والله من وراء القصد .. ،،

المؤلف

السيد الصوري

إهــــداء

إلى كل مسلم ...

إلى كل مسيحي ...

إلى كل يهودي ...

أياً كان موقعه .. وأياً كان عمله .. وأياً كان موقفه

أهدى إليه هذا الكتاب ... عسى أن ينتفع به

وإلى كل مصري .. يحب هذا الوطن .. ويعشق تراب هذا الوطن

ويخاف على هذا الوطن .

أهدي إليه هذه الصفحات ..

المؤلف

السيد الصوري

مفتتح

١- ﴿ أدخلوا مصر إن شاء الله آمنين ﴾

الآية ٩٩ من سورة يوسف

****

٢- " مبارك شعبى مصر "

الإنجيل — العهد الجديد

الباب الأول

==========

الفصل الأول

اليهودية والتسامح ....

لا يتوقع الباحث فى تاريخ الأديان أن يجد فى أسفار اليهود أى إشارة لموضوع التسامح هذا .. فإن التطبيق الفعلى لعقائد اليهود التلمودية لا تشير من قريب أو من بعيد إلى هذا الأمر .. بل إننا نرى صورة من صور العنصرية البغيضة الحاقدة تقصينا تلك التعاليم الهمجية التى لا يمكن أن تؤدى من أى ناحية إلى التسامح هذا [١]

لكن ...هناك الكثير من الشذرات التى أفلتت من التحريف مازالت تنضح ببعض الوحى الإلهى لتلتقى مع أصول الوحى السماوى وأصول الأديان جميعها ليقيم فى الأرض سلاماً ومحبة .. وأن تعاليم الله تبارك وتعالى لا تحابى احد ولا تجامل أحد وأن اختيار الله تبارك وتعالى لشعب من

---

[١] د. محمد عبد الله الشرقاوى – الكنز المرصود فى فضائح التلمود – مكتبة الوعى الإسلامى – القاهرة ١٩٩٠ م .

الشعوب أو صنف من البشر إنما يتم على اساس التمسك بهذا الوحى الإلهى فإذا حدث وانقطع هذا الخيط الالهى انتهت المسالة وانقضى هذا الاصطفاء والاختبار وهذا هو ما حدث مع اليهود ويحدث مع غير اليهود

واليهودية قبل أن تكون جنس (كما يريد اليهود المعاصرون) إنما هى دين ووحى جاء من عند الله تبارك وتعالى على لسان موسى عليه السلام ثم تبعه فى ذلك أنبياء بنى إسرائيل وهم كثير كثير .

ولأن أصل الآديان واحد لأنها من إله واحد فإن الآديان كلها بما فيها اليهودية تحض على التسامح وتدعوا إليه بل إن دعوتها قائمة على هذا الأمر فيه إنتشارها . وبغيره فسادها وإضمحلالها .

ونحن هنا نتوقف لنرى أصول الأديان وما دعت إليه من خلال تعرفنا على دعوتها إلى التسامح والتعايش من الإعتبار .. بل وإعتبارهم بشر لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات وهذه النقطة بالذات نقطة التعامل مع الأغيار وإعتبارهم . تختلف فيها اليهودية عن غيرها من الأديان فهم يعتبرون غيرهم لا اصل له ولا حق له ولا دين له ولذلك يستحلون أن يفعلوا به أي شئ وكل شئ دون وازع من دين أو ضمير . وكيف يتكون لديهم الوازع وكتابهم يحضهم على ذلك الأمر .. بل ويدعوهم إليه . ولهذا قد يستغرب الناس حينما يقرأون أن هناك فى التعاليم اليهودية ما يحض على السماحة والتسامح . وهم معذورون فى

ذلك فما يقوله الواقع الفعلى مقطوع الصلة بتعاليم السماء التى أنزلت إليهم على لسان نبيهم . بل الأغرب أن يتواصى مجتمع كامل على إخفاء معالم هديه ومظاهر دينه وراء ستار من التعاليم البشرية التى لا يمكن أن تقارن مع هدى السماء

لقد ورد عن النبى ﷺ قوله " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى " أى أن أكثر الأنبياء بعثوا إلى بنى إسرائيل لإقامة تعاليم الله سبحانه وتعالى وإظهار معالم هدى السماء .. وهذا أيضاً يعنى أن تحريف الكلم عن مواضعه عادة أصلية فى بنى إسرائيل فليس بمستغرب أن تُنحى التوراة جانباً ثم يأخذ بما قاله الأحبار والكهان والحاخامات فيما يعرف بالتلمود . بل ويصبح هذا التلمود هو الكتاب المقدس لديهم دون أدنى شعور بالمسئولية .. وهل يمكن أن تنزل تعاليم السماء بهذه الفجاجة والفظاظة .. وهل يمكن أن يتواصى جميع أنبياء بنى إسرائيل بتنفيذ رغبات اليهود وأعطائهم ما يريدون من النصوص التى تتيح لهم السيطرة والتمرد وإذا لأصبح العالم فوضى .. لا مكان فيه لهدى السماء بجانب هدى البشر .

لكن الأمر المؤكد .. الذى لا خلاف عليه أن هناك نصوصاً من التوراة .. النصوص المقدسة . تحض على السماحة والتسامح مع الآخرين .. ذلك أن الأديان كلها من نبع واحد .. وكلها تتفق على أهمية

السماحة وسيادة مبدأ الرحمة ومبدأ التسامح فى التعامل مع الآخرين وما سمعنا أبداً عن دين سماوى يحض أتباعه على إستخدام العنف مع الغير .. ولا حتى الإنزواء بعيداً عن الناس وهذا هو الأمر المؤكد .. الذى لا خلاف عليه .

الوصايا العشر ..... : -

فعلى سبيل المثال .. نذكر هنا الوصايا العشر .. لموسى عليه السلام ولقومه من بعده ولمن يؤمنون به عليه السلام .

" ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً .. أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك إلهاً غيرى (إلهة أخرى أمامى) لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء وما تحت الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور .. أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى " .

لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً .. لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً .

أذكر يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك وأما اليوم السابع ففيه سبت إلهك . أكرم أباك وامك لكى تطول أيامك على الارض التى يعطيك الرب إلهك .

لا تقتل .. ، لا تزنِ .. ، لا تسرق .. ، لا تشهد على قريبك شهادة زور .. ، لا تشته بيت قريبك ... ، لا تشتهِ إمرأة قريبك ، ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك .

[وقد ورد فى بعض النسخ بدلاً من قريبك " جارك "](١)

فهذه الوصايا تعطينا صورة صادقة لما يجب أن يكون عليه المجتمع المتدين من عبادة الله الواحد الاحد ثم إحسان التعامل مع الناس بما يحبون والإبتعاد قل البعد عما يضر الناس . وهذا هو أساس الديانات كلها ولو إستقام السعى البشرى على ذلك لكان الوضع على غير ما تراه الآن فأول شروط السماحة هو حسن التعامل مع الآخرين .

ثم هناك من النصوص القاطعة التى جاءت بها كلمه السلام . فالله هو صانع السلام وليس البشر .. واليهود فى جميع ما كتبوه فى التلمود لا يعرفون هذه الكلمة أبداً ..

---

(١) جاء فى هذا النص بتمام فى سفر الخروج ٢٠: ١-١٧ وجاءت نفس الوصايا بنصها فى الإصحاح الخامس من التثنية – ٥ – : ٦ -٢٢ .

جاء فى سفر أشعياء من العهد القديم .. قول الله لموسى عليه السلام ..أعطيك ذخائر الظلمة . وكنوز المخابئ .. لكى تعرف أنى أنا الرب الذى يدعوك باسمك إله إسرائيل . أنا الرب وليس آخر .. لا إله سواى . نطقتك وأنت لم تعرفنى لكى يعلموا من مشارق الارض ومن مغربها أن ليس غيرى أنا الرب وليس آخر . مصور النور وخالق الظلمة . وصانع السلام " (٢)

وجاء فى سفر ميخا :-

" قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح .. وماذا يطلبه منك الرب .ز إلا أن تصنع الحق ، وتحب الرحمه وتسلك متواضعاً مع أهلك (١)

أنها سماحة الأديان جميعاً . ورسالتها – صناعة السلام وإذا كان الله هو صانع السلام فإنه يطلب من الإنسان أن يكون سعيه فى الحياه وفق وصايا الله إليه ووفق مطالبه منه ثم يأت تفصيل ما يطلبة الله من الإنسان وماذا يطلب منه غير أن يكون له قلب يشعر وعقل يفهم ..

يطلب منه محبة الرحمة وصناعة الحق والعدل ثم التواضع والتسامح مع الغير .. وهل هناك تواضع بدون سماحة ؟

---

[٢] سفر أشياء – الإصحاح ٤٥ : ٣،٤،٥،٦،٧

[١] سفر ميخا ، ٦ : ٨

مزامير داود:

ونختم هذه النصوص بنص من مزامير داود عليه السلام . فقد جاء فيها ((باركى يا نفس الرب وكل ما فى باطنى ليبارك اسمه القدوس . باركى يا نفس الرب ولا تنسى كل حسناته الذى يغفر جميع ذنوبك . الذى يكلك بالرحمة والرأفة . الذى يشبع بالخير عمرك فيتجدد مثل النسر شبابك .. الرب مجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين عرف موسى طريقه وبنى إسرائيل أفعاله الرب الرحيم رءوف وطويل الروح وكثير الرحمة .. الرب فى السماوات ثبت كرسيه ومملكية على الكل تسود " (٢)

فاذا كان الأنبياء جميعاً يسيرون على طريق العدل والرحمة والتراحم فإن أنبياء بنى إسرائيل ليسو بدعاً من الانبياء . لقد ساروا على نفس الطريق وجاءهم الوحى بنفس التعاليم والوصايا أن الدين لا ينتشر إلا إذا كان طريقة طريق السماحة والتواضع فى التعامل مع الآخرين .. ولا جدال فى أن حاجة البشرية إلى السلام قد اصبحت اليوم أكثر إلحاحاً من أى وقت مضى . ودوروس التاريخ وأحداث الماضى القريب والبعيد تبين فى ظهور مشكلات جديدة وعلى أحسن تقدير تؤجل

---

(٢) محمود أبو ريه – دين الله واحد مكتبه الاسرة – الهيئة المصرية – الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٤ ص ٤١ ، ص٤٥

بتكلفة باهظة حل المشكلات وقد تعقد حلها تعقيداً يصل إلى درجة الإستعصاء التام فضلاً عما يترتب عليها من حدوث الكثير من مظاهر العنف والفلو والتطرف والإرهاب وهنا يأتى دور الأديان بما جاءت به كتبها فإن الأديان تستطيع من جانبها أن تسهم أسهاماً حقيقياً فى إقامة صرح السلام إذا ركزت إهتمامها على مهمتها الحقيقية ونهضت بها .

فرسالة الاديان بصفة عامة هى غرس المحبة والإخاء فى نفوس البشر بوصفهم ينتسبون جميعاً إلى أصل واحد وتربط بينهم جميعاً رابطة الإنسانية التى لا تعرف أى فروق مصطنعة بين البشر فجوهر الإنسان واحد فى كل زمان ومكان ومن شأن الأديان أن تحيى الأمل فى النفوس وتحفز الناس إلى التعاون بينهم فى كل ما من شأنه أن يعود بالخير على البشرية جميعاً (١)

والتعرف على الآخرين على إختلاف عقائدهم وأعراقهم من شأنه أن يتيح لنا أفقاً ارحب وفهماً أفضل لإنسانيتنا فكلنا ينتسب إلى نفس الاسرة الإنسانية . وهذا بدوره يؤدى إلى التسامح مع الآخرين والإفتتاح والحوار والتعاون فى كل ما من شأنه أن يعود بالخير على الجميع (٢)

---

(١) من كلمة السيد رئيس الجمهورية أمام مؤتمر حوار الأديان بقازاقستان مجلة مقر الإسلام العدد ٩ – السنة ٦٢ – رمضان ١٤٢٤هـ ص٢١ ، ٢٢ ، ٢٣

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٢

وهكذا .. فإنه رغم التناقضات الكثيرة الظاهرة بين ما جاء بالتعاليم اليهودية الأصلية غير المحرفة وبين حركة اليهود فى الحياه وهذا العنف الذى تدعمه مقدسات التلمود عندهم .. فإن الامر الذى لا خلاف عليه أن هناك الكثير من الإشارات حول التسامح وأهميته فى الديانة اليهودية .. أنه الدين الذى أنزله الله للبشر والذى لا يختلف فى أصوله عن جميع الاديان السماوية المنزلة .

((فالأخلاق فى أصولها لا تختلف بين الاديان السماوية بعضها وبعض فجميعها تدعو إلى العدل والرحمة والإحسان والتسامح والمحبة والعفاف والشجاعة والسخاء والتعاون على الخير (٢) .

---

(٢) د / يوسف القرضاوى .. تطبيق الشريعة وحقوق الاقليات . دراسة مكتوبة بمجلة الدوحة – قطر – العددين ١١٩ . ١٢٠ . نوفمبر وديسمبر ١٩٨٠ ص١٧ .

وينظر د/ حمدى زقزوق . الاسلام والغرب – سلسة قضايا إسلامية العدد الرابع ١٤١٥هـ ١٩٩٤ – وزارة الاوقاف ص ٨٧ .٨٨.

الفصل الثاني

المسيحية والتسامح

جاء عيسى عليه السلام على طريق أخوانه من الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام يدعو الناس إلى عبادة الله وحده وليكمل ما نقص من الديانه التى جاءت قبله على لسان موسى عليه السلام – كما هى سنة الرسل أجمعين – السابق يكمله اللاحق (فى مجال الشرائع ليس إلا)

وإن الفهم الصحيح لأى ديانة ينبغى أن يكون من داخلها وبمنطقها والاساس الذى تبنى عليه الديانه المسيحية بجميع مبادئها وتعاليمها يتركز فى عبارة واحدة ((الله محبه)) ولذلك جاء فى الكتاب المقدس (العهد الجديد) (ومن لا يحب لا يعرف الله لأن الله محبه) (١) وهذه المحبة تنسحب على جميع البشر ..

فالله محبه والإنسان خلق على صورة الله ومثاله إذن ينبغى أن يكون الانسان أيضاً محبه (٢)

---

(١) د / وليم سليمان قلادة – الإسلام والمسيحية على أرض مصر .. كتاب الحرية التاسع – القاهرة ط الأول – فبراير ١٩٨٦ ص ٢٦ والنص فى إنجيل يوحنا ٤ : ١٦

(٢) وليم سليمان قلادة – المرجع السابق ص ٤٤

ولـذلك ففـى العقيـدة المسـيحية لا يـكـن للإنسـان أن يعـرف الله وبالتالى لا يمكنه عبادتـه إلا إذا أحب الله وأحب أخـاه فـى الإنسـانيه هو الزهو – أيضاً – مخلوق على صورة الله ومثاله .

والمحبه فى الديانه السماوية المسيحية هى جماع الخير كلـه بل هى جماع الفضائل كلها .

فعندما سُئل السيد المسيح – عيسى أبن مريم عليه السلام – عن أية وصية هى العظمى فى الناموس (الوحى) .. قال

((تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك هذه الوصية الاولى والعظمى .

والثانية مثلها – تحب قريبك كنفسك – بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء (١)

فتعـاليم المسـيحية كلهـا تؤكـد علـى أن المحبـة يجـب أن تشـمل الناس كافة حتى الأشرار والأعداء ..

فقد قال السيد المسيح عليه السلام فى عظة على الجبل :-

((أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي يكونوا أبناء أبيكم الذى فى

---

(١) إنجيل متى – الإصحاح ٢٢–٤٠:٣٥

السماء فإنه يشرق بشمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين لأنه إذا أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ، أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك .. وإن سلمتم على أخواتكم فقط فأى فضل تصنعون أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا ..(٢)

وتعتبر السماحة والتسامح أهم ثمار المحبة . ولهذا جاءت الوصية من السيد المسيح عليه السلام ..

((لا تقاوموا الشر بالشر . بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً .. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضا ومن سخرك ميلاً واحداً فإذهب معه إثنين . ومن سألك فأعطه . ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده))(١)

والله .. ما أجمل هذه الوصايا . وما أجمل أن يتحلى بها أتباع الاديان كلها . حتى يرتفع الخلاف والشقاق من بينهم .

ويلاحظ أن السيد المسيح لم يكن يقصد المعنى الحرفى لهذه الأمثله التى ضربها وانما كان يقصد السماحة والتسامح والصفح والدليل على ذلك أنه عليه السلام نفسه قد تعرض لحادث – فقد لطمه على خده أحد الخدام . فلقد جاء بأنجيل يوحنا ..

حـ متى الإصحاح ٥-٧: ٤٤

حـ متى ٥ ٣٩ : ٢:

" لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفاً قائلاً أهكذا تجاوب رئيس الكهنة إجابة يسوع إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردئ . وإن كان حسناً فلماذا تضربنى !! .

وواضح أن السيد المسيح لم يحول للخادم ضده للأخر وإنما كان السؤال لماذا تضربنى ؟؟

ويمتلئ الكتاب المقدس (العهد الجديد) بالكثير والكثير من النصوص التى تحض على السماحة والتسامح فى معاملة الغير .. وهذا كان طريق عمل المبشرين لنشر المسيحية فى العالم بعد رفع (وفاة) السيد المسيح عيسى عليه السلام بل كان التركيز على المحبة وحسن التعامل هو ركيزة الخروج إلى المناطق المجاورة لنشر المسيحيين فيه

والمسيحية بذلك تضع مسئولية كبرى على عاتق المنتمين إليها .. لأن المحبة التى هى جماع الفضائل كلها يجب أن تشمل الناس كافة حتى الأعداء والأشرار .

كما أن محبة الناس هى الأساس فى التعامل بين المسيحيين وإخوانهم الذين يجاورنهم والذين يتعاملون معهم والذين يشتركون معهم فى حياتهم وفى طرائق معيشتهم .

ولقد كان السيد المسيح عليه السلام مثالاً حياً لكل ما كان يلقيه من المواعظ وكانت حياته وحياة الحواريين من حوله ترجمة حية لكل وصاياه عليه السلام .

أنظر إلى وصيته عليه السلام لأتباعه ..

" لا تدينوا لكى لا تدانوا .. وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم ولماذا تنظر إلى القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشية التى فى عينك فلا تفطن إليها .. كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم . أفعلوا هكذا أنتم بهم (أنتم أيضاً بهم) لأن هذا هو الناموس .. فإن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم الذى فى السماء (أبوكم السماوى) وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم ابوكم –زلاتكم)(١)

ولا يغرنك ما تسمعه الآن أو تقرأه من نصوص قد تكون كلا مكذوبه على الله سبحانه وتعالى فحتى اليهودية التى تتبع تلمودها المحروف تستمع إلى وصيه الله لليهود بقوله (وقولوا- للناس حسنا)) وهل يكون القول الحسن مع المعاملة السيئة ؟ وهل يكون القول الحسن إلا مع المعاملة الطيبة المستمرة والقائمة على أخلاقيات الأديان وأصول الإيمان ؟

---

(١) إنجيل متى الاصحاح السادس – ١٤–١٥وانظر أيضاً د/أدوار غالى – مرجع سابق ففيه الكثير من تفاصيل هذه الوصايا والتعليق عليها من ص٤٩ ص٥٦

سمات المحبة ...

ثم تأتى نقطة مهمة فى هذا الموضوع وهى أن المسيحية الحقة هى القائمة على التسامح والسماحة والمودة والمحبة ففى العقيدة والمسيحية أن الطريق إلى معرفة الله والثبات فى هذا الطريق هو أن يحب الإنسان أخاه الإنسان .

((أيها الأحياء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هى من الله وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله))[١]

الله لم ينظره أحد قط إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا ومحبته قد تكملت فينا) [٢]

ويؤكد الكتاب المقدس أن الإنسان لا يستطيع أن يحب الله إلا إذا أحب أخاه فى الإنسانية أولاً ..

أن قال أحد أنى أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب لأن من لا يحب أخاه الذى أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً))[٣]

---

[١] انجيل يوحنا ٤ ، ٧ – وكلمة ولد من الله ليست بمعناه الحرفى ولكن بمعناه المجازى أى الذى يطيع الله طاعة تامه ويعرف الله معرفة حقيقة وهؤلاء هم الربانيون

[٢] يوحنا ١ : ٤ : ١٢

[٣] يوحنا ٤ : ٢٠ – ٢١

فالمحبة الحقيقة خروج من الذات إلى الغير بحيث تنس ذاتك وتذكر غير تخرج من الانا فلا تسمح لها أن تحصرك داخلها فلا تعيش داخل الانا وإنما داخل قلوب الناس :-

((تحيا لأجل الغير وترى خيره قبل خيرك وهكذا تحب الغير وتحب له الخير))

هكذا تتسع دوائر المحبة لتشمل الجميع فالجميع فى كل مكان ومجال أخوة ويخطئ من يظن أن هذه التعاليم خاصة إعتنق المسيحية فقط كلا ولكنها تعاليم خاصة بالجميع إذا عرفنا ظروف رسالة عيسى عليه السلام وما كان يحيط به من مكائد اليهود المستمرة والتى لم تكن ترضى بدلاً من قتله عليه السلام

((وتقدم القديس بطرس إلى السيد المسيح وسأله قائلاً :

.. كم مرة يخطئ إلىّ أخى (أى إنسان بوجه عام) وأنا أغفر له .. هل إلى سبع مرات ؟

قال له يسوع لا تقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات))(١)

هكذا..

(١) إنجيل متى :١٨ :٢١-٢٢

تأتى الأديان رحمة عامة للجميع لجميع البشر ليس هناك فرق بين من ينتمى لها ومن لا ينتمى ليس هناك فرق بين من يؤمن بها ومن لا يؤمن بشرط أن يكون سلاما عليها فيكون الدين هو ناشر السلام وراعيه ومحققه التحقيق الفعلى فى دنيا الناس .

جاء فى الكتاب المقدس من لا يحب أخاه يبق فى الموت كل من يبغض أخاه فهو قاتل لنفسه وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياه أبدية (٢)

وفى الكتاب المقدس بيان السمات المحبة لمحبة الإنسان لأخيه الإنسان فقد جاء به

المحبة تتأنى وترفق .

المحبة لا تحسد

المحبة لا تتفاخر

ولا تقبح

ولا تطلب ما لنفسها

ولا تحقد

ولا تظن السوء

ولا تفرح بالأثم بل تفرح بالحق

---

(٢) إنجيل يوحنا ٣ : ١٤ –١٥

وتحتمل كل شئ

وتصدق كل شئ

وترجو كل شئ

وتصبر على كل شئ

المحبة لا تسقط أبداً [١]

هكذا .. بلا تفسير أو تعليق

فمحبة الإنسان لأخيه الإنسان ينبغى أن تكون بالفعل لا بالقول والعمل الصالح والمعاملة الطيبه ولذلك جاء فى الكتاب المقدس ..

" من كان له معيشة العالم ونظر أخاه (أى الإنسان بوجه عام) محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه .. يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان ولكن بالعمل والحق " [٢]

ليس هذا فقط .. بل جاء فيه ايضاً تحديد دقيق للمنفعة الحقة والصحيحة .

" ما المنفعة يا أخوتى .. "

إن قال أحد أن له إيماناً ولكن ليس له أعمال .. هل يقدر الإيمان أن يخلصه .. إن كان أخ أو أخت عريانين ومعتازين للقوت اليومى ..

---

[١] كورنثوس : ١٣ : ٤ – ٨

[٢] يوحنا : ٣ : ١٧ – ١٨

فقال لهما أحدكم أمضيا بسلام استدفئا واشتبعا ولم تكن تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعه ..

هكذا الإيمان أيضاً .. إن لم يكن له أعمال ميت فى ذاته (٣)

أنها المسئولية العظمى الملقاه على كاهل الإنسان حيث يتعامل مع أخيه الإنسان حيث ينبغى أن تتسم تعامله معه بالمحبه والمودة والرحمة .

الغاية من جميع الوصايا

وبناء على ما تقدم يمكننا القول بأن الغاية من جميع الوصايا التى جاءت بها تعاليم السيد المسيح – عيسى بن مريم عليه السلام هى المحبة فالمسيحية تؤمن بأن المحبة هى الغاية من جميع وصايا الله فلقد جاء بالكتاب المقدس .

" أما غاية الوصية فهى من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء "

كما جعلها أعظم من الإيمان والرجاء فقال " أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة .

---

(٣) د . أدوار غالى الدهبى النموذج المصرى مرجع سابق ص ٥٣ . ٥٤ مع بعض التصرف .

وفى شرح ذلك يقول بولس الرسول " إن كنت اتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لى محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن .. وإن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لى محبة فليست شيئاً .. وإن اطعمت كل أموالى وإن سلمت جسدي حتى أحترق ولكن ليس محبة فلا انتفع شيئاً . (١)

وخلاصة القول ..

أن المسيحية هى دين المحبة .. لأن الله محبة والطريق إلى معرفة الله وعبادته والثبات فيه هو طريق المحبة .. ولا يستطيع الإنسان أن يحب الله إلا إذا أحب أخاه فى الإنسانية أولاً .. إذ لا تكتمل ديانة المسيحى بغير المحبة .. لأن المحبة " هى تكميل الناموس "

والمسيحية بذلك تضع مسئولية كبرى على عاتق المنتمين إليها .. فالمحبة يجب أن تشمل جميع الناس حتى الأشرار والأعداء .

كما أن محبة الناس كافة لا تكون بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق ... وهل تمثر المحبة إلا السماحة والتسامح والتواضع والعفو والعدل والمروءة ... ولعل التساؤل هنا .. إذا كانت هذه تعاليم المسيحية الحقة فلماذا أنحرف الكثيرون عنها وقدموا عليها آراؤهم

---

(١) انظر فى تفصيل ذلك د / أدوار الدهبى سابق ص ٥٥ وأيضاً د / وليم سليمان قلادة سابق وأيضا محمود أبو ريه – دين الله واحد .. سابق .

واجتهاداتهم ، ونرى ما نراه الآن من محاولات مستميته لنشر هذا الفكر المخالف للتعاليم والوصايا الدينية .

والإجابة سهلة بسيطة فإن الانحراف الذاتي حدث بالعقائد أخر نصوص المحبة والتسامح وقدم عليها أى نص يخالفها فظهرت

النصوص التى تتحاكم إلى غير الشريعة والنصوص التى تقدم أراء الكهانة والأحبار على تعاليم السيد المسيح عليه السلام .

" فعندما قدم عدى بن حاتم على النبى صلى الله عليه وسلم حدث ما رواه قال " أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب وسمعته صلى الله عليه وسلم يقرأ فى سورة براءة " أتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله " فقلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم .. فقال أليس يحرمون ما أحل الله فيحرمونه .. ويحلون ما حرم الله فيستحلونه ..

فقلت .. بلى . إن المطلوب ...

هو العودة إلى أصول الدين وجوهر العقائد فهى الأصل فى التعايش الودى بين جميع فئات الشعب أى شعب وهى مقياس تحضر الأمم .

فماذا يعنى أن يكون لدينا هذا الميراث الضخم من النصوص المقدسة عن السماحة والتسامح والتراحم .

ثم يقدم عليها أراء الكهان أو غيرهم من دون دليل فليس لهذا أي معنى إلا معنى واحد فقط .

وهو الإيمان بآراء الكهان والأحبار والاعتقاد فيهم وتكذيب هذه النصوص الضخمة جملة وتفصيلا .

وهذا هو الواقع وما نراه في الواقع المعاصر الا نتيجة حتمية لذلك دون موارية أو خجل .

وإذا أردنا بالفعل أن تكون هناك حياة اجتماعية سليمة فلا مناص من العودة إلى الأديان وتعاليمها وغايتها .

إن أساس الدين هو الإيمان بالله .

والإنسان إذا لم يدخل فى حسابه أن الله هو ينبوع كل موهبة وسلطة وأننا جميعاً مسئولون أمامه .

إذا أسقط الإنسان هذا من حساباته أصبح سعيد فى الحياة فاسداً وغير مسئولاً.

وإن محبة الله واحترامه هما أساس كرامة الإنسان .

وإن سيادة روح المحبة هذه بين البشر هى أساس خلق عالم أفضل وأنقى وأجمل (١)

---

(١) انطونى شوليكال - الايدولوجية (من ندوة الحوار الإسلامى المسيحى مجلة الثقافة العربية - ليبيا - العدد (د) السنة ٣ مايو ١٩٧٦ ص ١٥٣ ص ١٥٤ مع بعض التصرف .

الفصل الثالث

===========

الإسلام والسماحة والتسامح

الإسلام دين المحبة والسماحة

إذا كنا قد تحدثنا في الصفحات السابقة عن المسيحيين ودور المحبة والتأكيد عليها كلازمة من لوازم العقيدة المسيحية الصحيحة .. فإننا سنتوقف هنا عند الحديث عن الإسلام ودور مبدأ المحبة والسماحة فى إنتشار هذا الدين فى أنحاء الكرة الأرضية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً بل دوره فى تقبل الآخرين وإحسان التعامل معهم والتواصل بينه وبينهم .. ، فالإسلام بحق هو دين المحبة والسماحة والمحبة والسماحة من المبادئ السماوية الحكيمة التى دعا إليها الإسلام وحث عليها أصبحت علامات مضيئة فى طريق انتشار الإسلام وتعامله مع غير المؤمنين به والداخلين فيه .

فالإسلام هو رسالة الله إلى البشر أوحى به إلى عباده عن طريق أنبياء ورسل كرام أختارهم سبحانه وتعالى ليكونوا معلمين للبشر وهداه للناس .

جاء الإسلام ليعلم الناس أن الله لطيف بعباده محب لهم وأنه سبحانه وتعالى بناء على هذا الحب لم يتركهم يتخبطون فى ظلمات الجهل وإنما أراد بهم الخير وأحب لهم الهداية ودعاهم إلى معرفته والتقرب منه والعمل على كسب محبته ورضاه ،

والقرآن الكريم كتاب الإسلام يؤكد فى أكثر من موضع وفى أكثر من أية وفى اكثر من سورة أن الله سبحانه وتعالى يحب عباده ويحب الذين يتبعون تعاليمه ويسيرون على هداه ويحب الذين يتقربون النية بالتقوى والعمل الصالح " قل إن كنتم تحبون الله فأتبعوني يحببكم الله " [1]

والمحبة فى الإسلام ليست رمزاً أو معنى فقط وإنما هى صفة إيجابية بناءه ومبدأ أصيل من تعاليم الإسلام .

وهى صفة من صفات الله عز وجل وهى خُلق فرضه الله على عباده لأنه جعلهم خلفاء له وأمرهم أن يتخلقوا بخلقه .. قال تعالى " وإذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة " [2]

---

[1] سورة آل عمران الآية ٣١

[2] سورة البقرة الآية ٣٠

والمحبة في الإسلام ليست مجرد شعور وليست محض فكره وإنما هي شعور قوى خلاق ينبعث من قلب عامر يحب الله سبحانه وتعالى ويتبعه تصرف سليم مهذب وسلوك قويم يفيض بالخير والمحبة على صاحبه وعلى الناس أجمعين .

ولقد كان هذا سلوكاً حياتياً للمسلمين فلم نسمع ولم يسجل التاريخ حالة إكراه للدخول في هذا الدين ولو وجدت لما تركها المستشرقون وأشياعهم وهم قد قتلوا جميع الكتب والذات الإسلامي العربي بحثاً ودراسة.

يقول الحق سبحانه وتعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي .)[٢]

---

[٢] سورة البقرة الآية ٢٥٦

لا يريدها الله عبادة صورية ظاهرة فقط . وإنما يريدها عبادة صادرة عن حب عميق لله وإيمان برسالته وتعاليمه ورغبة صادقة فى كسب رضاه ومحبته .

والعبادة التى مصدرها حب الله سبحانه وتعالى والتى هى الغاية من خلق الخلق كلهم ليست فقط فى الفرائض الدينية وإنما هى أيضاً فى المعاملات مع الناس وفى سلوك الإنسان مع نفسه وإلى موقفه من الوجود كله .. فإذا كيف الإنسان علاقته مع ربه ومع نفسه فى إطار من الحب والتفانى والإثار فهو العابد الحق وهو الإنسان الذى فهم مبدأ المحبة فى الإسلام وطبقة على خير صورة وأحسن مثال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى)) .

هدف الإسلام

والهدف من رسالة الإسلام إنساني شامل عام فرسالة الإسلام لم تأت فقط لتدعوا الناس إلى عبادة الله فالله غنى عن عباده ((إن الله لغني عن العالمين)) (١)

إنما جاءت رسالة الإسلام لتعلم الناس وتعرفهم برب الكون سبحانه وتعالى وخالقه وتدعوهم إلى حبه حتى تتربى فيهم ملكة الحب وتتجمع لديهم طاقات المحبة فيمارسوا حياتهم مع الناس جميعاً فى مجالات الحب والعاطفة الانسانية وتصبح شعاراً لهم وخلقاً فيهم وفطرة سليمة فى نفوسهم واذا بدا الانسان من نقطة حب الله استطاع ان ينمى عاطفة المحبة هذه واستطاع ان يمارسها فى صلاته الإجتماعية وفى علاقاته العامة .

ولقد جاءت رسالة الإسلام لتقضى على عوامل الإنانية وأسباب الأثرة وتغرس فى النفس الإنسانية خلق الإيثار وحب الغير لأن المسلمين أحبوا الله وأحبوا رسوله وأحبوا المؤمنين وأحبوا الإنسانية بوجه عام . وقد أستطاعوا أن يخلقوا بهذه المحبة أمة ذات ..

---

(١) سورة العنكبوت الآية : ٦٠

رسالة وذات مبادئ وأن يكونوا شعباً ذا حضارة إنسانية وأن يبنوا ثقافة ذات قيم عالمية وأن يؤسسوا حضارة ثابتة الأركان أفاءت عليهم وعلى العالم

الخير الكثير وأشاعة فى دنيا الناس المحبة والسلام والسماحة والتسامح وكانوا بحق كما وصفهم القران الكريم ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)) [٢]

أن رسالة الإسلام جاءت لتعلم البشرية أن الله عز وجل هو مصدر الكون والحياة وهو المثل الأعلى فى الوجود يظله بحبه ويسيره برحمته ورعايته .. فالإنسان لبنة فى بناء الوجود كله ودعامة يستند إليها الكون فى حركته وعنصراً فعالاً بين العناصر التى يستمد منها الحياة والبقاء .. والإنسان بحكم طبيعته هذه وبحكم هذا المركز الذى يشغله لابد وأن يكون منسجماً مع العناصر الآخرى فى الكون .

وهذا الإنسجام لا يتحقق إلا إذا كان هناك حب عميق بين الإنسان وخالقه من جهة ثم بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة أخرى ثم بينه وبين بقية المخلوقات من جهة ثالثة .

---

[٢] سورة آل عمران الآية : ١١٠

وهـذا الإنسـجام المطلـوب لا يتحقـق الغـرض منـه إلا إذا كـان مستمراً دائماً وإستمراره متوقف بالتالى على أن يكون الإنسان فى سلام مع ربه وسلام مع نفسه وسلام مع أخيه الإنسان .

إن القرآن الكريم يعلنها صريحة خالدة واضحة أن الإنسانية كلها عبارة عن أسرة واحدة أبوها آدم وربها الله .. غايتها واحدة وطريقها واحد .

((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)) [٣]

((يا أيها الناس أتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساءا وأتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً)) [٤]

والقرآن الكريم حين يقرر هذه المبادئ الخالدة يوضح للبشرية معالم السعادة ويضع يدها على مفاتيح الخير والإستقرار والسلام .

---

[٣] سورة الحجرات الآية : ١٣

[٤] سورة النساء الآية : ١

إنــــه يتعـــين مبـــدأ الحريــــة والإخـــاء والمســـاواة ((إنما المؤمنون إخوة))[١] ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام " الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح " [٢]

أن الإسلام جاء ليغرس فى نفس البشرية معانى الحب والسلام عن طريق هذه المبادئ الإنسانية الرفيعة لأن الإسلام يريد أن يعلم الناس كيف يمارسون عاطفة المحبة والتسامح والتساوى عن اقتناع ومنطق إنسانى سليم ويعلمهم كيف ينشرون السلام ويدعون إليه على مبادئ إنسانية عامة وثابتة أساسها الوحى ومصدرها رب السماء حتى يكون الحب إيجابياً صادقاً وحتى يكون ذلك التسامح عاماً ودائماً .

جاءت رسالة الإسلام تحمل إلى الأرض السلام وتنشر بين الناس المحبة فلفظ الإسلام مشتق من السلام ومحبة المسلمين هى السلام ومحبة الملائكة للمسلمين هى السلام .. والسلام اسم من أسماء الله الحسنى فالله هو السلام والكون كله وحدة شاملة الله فيه هو الخالق والمدبر والإنسان فيه مركز الثقة وأساس العلاقة بين عناصر هذه

---

[١] سورة الحجرات الآية ١٠

[٢] حديث صحيح البخارى ومسلم

الوحدة وأساس العلاقة بين عناصر هذه الوحدة هى الحب والسلام والسماحة وأن الإنسان لا يمكن أن يشعر بهذه الحلاوة الإيمانية إلا إذا كان حبه صادقاً .

قال صلى الله عليه وسلم " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار " [٣]

الإسلام يقرر الوحدة الشاملة.. الوحدة الإنسانية العامة وهذه الوحدة تقوم على وحدة الدين يقول الحق سبحانه وتعالى ((شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)) [٤]

((قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)) [٥]
وعلى هذا الأساس من وحدة الله ووحدة الدين ووحدة البشرية أرسى دائم المحبة وأقام مبادئ الإسلام السمحة (٦)

---

(٣) حديث صحيح – البخاري

(٤) سورة الشورى الآية : ١٣

(٥) سورة البقرة الآية ١٣٦

(٦) د عبد الله دنيون الإسلام دين المحبة مجلة الوعى الإسلامى العدد ٤١٤ صفر ١٤٢١ ص ٢٦

الأخوة الإنسانية

وقـد جعلـت الشـريعة الإسـلامية غيـر المسـلمين شـركاء مـع المسلمين فى الوطن منذ كانت للإسلام دولة .. دولتة الأولى فى المدينة المنورة ودولتة التى توالت أيامها بعد إنتقال النبى صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وحتى يوم الناس هذا .. ومن سنة الله فى الإجتماع البشرى أن يتجاور فيه جماعات من الناس مختلفين فى الألسنة والألوان وهم جميعا إخوة لأب واحد وأم واحدة وإن تباعد بمعانى هذه الأخوة الإنسانية طول الأمد بين الأصول والفروع (١)

وكما سبقت الإشارة فإن القرآن الكريم قرر هذه الحقيقة فى قوله تعالى ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)) (٢)

لما كان يوم فتح مكة أمر النبى صلى الله عليه وسلم بلالاً أن يعلو على ظهر الكعبة ويؤذن فى الناس فصعد بلال على ظهر الكعبة

---

(١) د / محمد سليم العوا الإسلام والأقباط دار الشروق ١٩٨٧ ص ١٧

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣

وإذن فساء ذلك بعض سادة قريش فتكلموا .. وكان ممن تكلم عتاب بن أسيد قال الحمد لله الذى قبض أبى حتى لا يرى هذا اليوم ...

وقال الحارث بن هشام .. أما وجد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً ؟ وقال أبو سفيان " أنى لا أقول شيئاً أخاف أن يخبر به رب السماء فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا .. فدعاهم النبى صلى الله عليه وسلم وسألهم عما قالوا .. فأقروا .. فأنزل الله تبارك وتعالى ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى .. الآية)) وزجرهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال وازدراء الفقراء .

إنها أخلاق إنسانية يجب أن تكون طبعاً فى المؤمن يعيشها فى حياته كلها ومع الناس جميعاً فلا تكون ثوباً يلبسه مع المؤمنين حتى إذا كان مع غير المؤمنين نزعه فإنه بهذا إنما ينزع كمالاً خلقه الله عليه ويتعرى من جلال كساه الله إياه [٤]. فالاختلاف الواقع بين الناس وتمايزهم شعوباً وأمماً هو فى الواقع سبب تعارفهم وداعية

---

[٤] وزارة الأوقاف – سماحة الإسلام وحقوق غير المسلمين – القاهرة ص ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ص ١٩ مع بعض التصرف .

إلى قيام هذه الوحدة الحية فى كيان المجتمع الإنساني المتمثلة في الشعوب والأمم (٥)

ولقد أكد النبى صلى الله عليه وسلم هذه الإخوة الإنسانية ففى خطبة الوداع قال عليه الصلاة والسلام ((يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وأدم من تراب وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى على أعجمي ولا لأعجمي على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى ألا هل بلغت ؟؟ اللهم فأشهد ألا فليبلغ الشاهد منك الغائب)) .

الحرص الإسلامي على الإخوة ..

ومما يؤكد حرص الإسلام على هذه الأخوة الإنسانية بين البشر جميعاً تمتع غير المسلمين بحقوقهم وحريتهم فى ظل الإسلام حتى إننا لنجد .. فى السنة النبوية الشريفة النهى عن ايذاء اهل الكتاب – وهم غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي – ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ((من أذى ذمياً فقد آذانى ومن أذانى فقد أذى الله)) ويقول صلى الله عليه وسلم ((من أذى ذمياً فإنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة)) ..

(٥) د / عبد الكريم الخطيب التفسير القرآني للقرآن للقران طبعة دار الفكر العربي القاهرة جـ ٢٦ ص ٤٢٥ . ٤٥٣

وقوله عليه الصلاة والسلام ((من قتل معاهداً - أى ذمياً - لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً)) [١]

ولهذا ...

فإن الإسلام يقرر بأن للإنسان كل الحق فى أن يعيش الدين أو المذهب أو المبدأ الذى يشاء وله كل الحرية فى أن يمارس من شعائر دينه ما يراه علانية أو خفاء .. كما أن له الحق أيضاً فى ألا يعتنق على الإطلاق أى دين طالما أن ذلك كله لا يضر بالآخرين إذ أن حرية الإنسان تنتهى عند بداية حقوق غيره .

وتقتضى حرية العقيدة حق الإنسان فيها هو ألا يفرض على أى إنسان اعتناق دين معين ولا أن يقهر عليه من أى سلطة كانت حتى ولو كان هذا الدين هو الدين الرسمى للدولة ولا أن يكره على مباشرة شعائر دين ما أو يشترك فى طقوسه ومناسكه .

واتصال العقيدة بحرية الإنسان ينبع من كون العقيدة هى ما ينعقد عليه قلبه وضميره .. ومن ثم فإن أساس تكوينها لدى الإنسان هو عقله وفكره وقلبه ورغبته بالدرجة الأولى ..

---

[١] سماحة الإسلام مرجع سابق ص ٢٣ ، ٢٤

هذا .. ويتفرع على مبدأ الحرية في إعتناق العقيدة إطلاق حرية الإنسان فى ممارسة شعائر دينه خفاء أو علانية [١]

لقد جاء الإسلام ليخاطب الإدراك البشرى بكل قواه وطاقاته . يخاطب العقل والفكر والبداهة الناطقة ويخاطب الوجدان والفطرة السليمة والكيان البشرى ..

جاء الإسلام ليخاطب العقل بدون إكراه ولا تعقيد . فجعل قضية العقيدة قضية إقناع بعد بيان وليست قضية إكراه أو غضب وإجبار فلا مجال لاعتناق هذا الدين الكريم تحت تأثير التهديد أو مزاولة الضغط القاهر أو الإكراه بلا بيان ولا إقناع ولهذا أعلن الإسلام هذا المبدأ العظيم فى قول الحق تبارك وتعالى ((لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)) [٢]

وهذا المبدأ يترجم تكريم الله للإنسان وإحترام ارادته وفكره ومشاعره وترك أمره لنفسه .

ولقد رسم الإسلام الطريقة المثلى للإنتشار السلمى والدعوة إليه والتى تتمثل فى كسب الثقة وإزالة الحواجز بين المسلمين وغيرهم حتى يتعرفوا على هذا الدين من قريب ويلمسوا معاملة المسلمين لغيرهم بلا

---

[١] المستشار الدكتور : عاصم احمد عجيلة الحرية الفكرية وترشيد العقل فى الاسلام ط الاولى : ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ، ص ١٨ ، ١٩

[٢] سورة البقرة الآية ٢٥٦

تكلف أو بهرجه .. وقد يكون هذا أقرب السبل وأقصرها وأيسرها إلى الهداية .

وهناك من النصوص القرآنية الكثير والكثير .. ولكننا هنا سنتوقف عند نص واحد فقط من هذه النصوص لنرى كيف أمر الإسلام أتباعه بإحسان معاملة غيرهم والطريقة المثلى فى ذلك .

يقول الحق تبارك وتعالى ((**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين**)) [١]

قال أهل التفسير : -

" أن الله تبارك وتعالى يعنى بذلك المخالفين لنا فى الدين من جميع أصناف الملل والأديان والنحل أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم . أى أن الله عز وجل عم بذلك جميع من كان ذلك صفته ولم يخص بعضاً دون بعض لأن بر المؤمن بمن بينه وبينه قرابة نسب أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرم ولا منهى عنه إذا لم يكن فى ذلك دلالة لأهل الحرب على عوده دار الإسلام أو تقوية لهم بكراع أو سلاح .

---

[١] سورة الممتحنة الآية : ٨

ويبين صحة ذلك ما روى عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال :

((نزلت في أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنها - وكانت لها أم فى الجاهلية يقال لها قتيلة بنت عبد العزى فأتتها بهدايا فقالت لها أسماء : لا أقبل له هدية ولا تدخلى على حتى يأذن رسول الله صلى عليه وسلم .. فذكرت ذلك عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تبارك وتعالى - لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم .. الآية .

بل ان الأمر الألهى للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقيم دعوته على قواعد الحكمة والموعظة الحسنة وألا يجادل الا بالتى هى أحسن .

قال الله تعالى ((أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن أن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)) [1]

وقد أمره الله تبارك وتعالى بذلك فى نشر دعوته لكى يدع للناس الحرية التامة أن يأخذوا بدعوته أو يدعوها فلا إكراه على اعتناق الدين .. فإن الذى يستقر فى القلوب لا تغيره كل رسائل .. الإكراه . فلا ينبنى الإيمان إلا على إطمئنان ..

---

[1] سورة النحل : الاية ١٢٥

قال الله تعالى ..

((قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل))[١]

والنصوص فى هذا الباب كثيرة وكلها تحض على السماحة والتسامح فى التعامل مع غير المسلمين ..

ولقد قام أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بتمثيل هذه المبادئ حتى كأنها حيه بينهم . لا يختلفون عنها ولا يجدون عنها قيد أنملة وغدا هذا الأمر فى ضمير خلفاء الأمة وحكامها وشعوبها وحياتها ترجمة علمية وعملية وواقعاً حياً معاشاً .

وها هو ذا النبى صلى الله عليه وسلم يوثق العلاقات الإنسانية ويربطها برباط المحبة والتراحم والتماسك .... يوثق النبى صلى الله عليه وسلم عرى الإيمان بالتراحم حيث يقول صلى الله عليه وسلم " لن تؤمنوا حتى تراحموا " قالوا يار سول الله .. كلنا رحيم .. قال إنما ليس برحمة أحدكم صاحبة ولكنها رحمة العامة . (٢)

---

(١) سورة يونس . الآية : ١٠٨

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط

وهكذا نجد الإسلام قد حفل بالدعوه إلى التسامح منذ بزغ فجره ولم تكن هذه الدعوه مجرد كلام كانت دعوى عملية فلم يشهد التاريخ كله فاتحين يتركوا أهل البلاد المغلوبين أحراراً فيما يدينون ويعتقدون وأحراراً فيما يأخذون وفيما يتركون دون إجبار أو إكراه ولقد كان تاريخ المسلمين كله صحائف رائعة فى معاملة غير المسلمين من التسامح الفذ المنقطع النظير بين المؤمنين وغيرهم مما جعل أهل الأديان الأخرى بالحكم الإسلامي ففيه إنقاذها من تعصب حكامها الذين كانوا فى معظم الأحيان على دينها .

يقول جيروم .. وجان ثارو : -

ان فضيلة التسامح التى كانت أزهى سمات العرب والتى ندر أن تتوفر فى غيرهم فى جميع الأزمان هذه السجية الكريمة قد أفادت العرب كثيراً ولم يكن يفيدهم ذكائهم الفطرى وذوقهم الفنى ونزاعتهم الإنسانية لولم يتميزوا بفضيلة التسامح . (١)

---

(١) د / يوسف القرضاوى تطبيق الشريعة الإسلامية وحقوق الأقليات بحث منشور فى مجلة الدوحة العددان ١١٩ . ١٢٠ / نوفمبر ديسمبر ١٩٨٥ م ص ٨ .

مثل من نشر الدعوة :-

وليس هناك ما يدلل على صحة ما سبق ذكره ... من هذا النص النبوى الجميل الذى يبرهن على أهمية الدعوة بالحكمة والحسنى ومجادلة أهل الكتاب ودعوتهم ..

((فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : -

إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فاعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة .. فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم .. فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، وأتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب .. [٢]

ليس هذا فقط ....

فقد كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عامل جيش كان قد بعثه : .. " أنه بلغنى أن رجالاً منكم يطلبون العلج – الكافر والأعجمى – حتى إذا أشتد فى الجبل وامتنع قال رجل مترس لا تخف فإذا أدركه قتله ..

---

[٢] سماحة الإسلام مرجع سابق ص ٨٧

وأنى والذى نفسى بيده لا أعلم مكان أحد فعل ذلك إلا ضربت عنقه .. [٣] وبعد .. إن الفطرة الحانية تفرض على البشر فى معاملاتهم وتلاقيهم أفاقاً لا يصح بأى حال من الأحوال التدنى عنها وتوجب عليهم أطراً لا ينبغى أبداً الخروج عنها .

والوحى الأعلى والدين العالمى إن لم يدعم هذه الأطر ويرق بهذه الآفاق ويعمق ركائز هذه العلاقات فلن يهبط بها أو يوهى عودها .

إن الدين الحق لن يكون ديناً إلا إذا ربط الخلق بالحق ووثق أمر الأرض بهدى السماء ..

ومن ثم كانت المعاملة الطيبة والعلاقات الحسنة والصلات الزاكية عنوناً أكيداً على نقاء المعدن وصفاء الفطرة وقرب الإنسان من ربه وأمته ..

وحقوق المواطنين وواجباتهم التى يتبادلونها ويتعاونون على الوفاء بها وتنميتها فريضة محتومة لا ينبغى التغاضى عنها ولا يجوز أن يحوم حولها افراط ولا تفريط .

وما من أمة شاع فيها احترام الحقوق وآداء الواجبات .. إلا استمسك عودها وقويت شوكتها وعز أمرها وعجز عدوها عن النيل منها .

---

(٣) نفس المرجع السابق

إن الإسلام سهل سمح لا يحمل الحقد والكراهية والعدوان لمخالفين فى العقيدة .

يقول جل شأنه :

(لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي) [١]

ويقول .. عز من قال ((لكم دينكم ولى دين)) [٢]

وليست فى تعاليمه ما يضر بغير المسلمين الذين يعيشون فى بلاد الإسلام فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وهذا ما سار عليه المسلمون منذ فجر الإسلام وحتى يومنا هذا أخوه فى الإنسانية ومعاملة حسنة تفيض بالبر والعدل والوفاء بالعهد إعترافاً لكل ذى حق بحقه ومحافظة على حرمة الدم والمال والعرض .. تعلوهم راية التعاون والتسامح وروح الأخوة والمحبة .

وإذا كانت سنة من سنن الله فى الاجتماع الإنساني أن يكون هناك دائماً وأبداً فارق بين الواقع والمثال وأن يظل المثال عصياً على كمال التحقيق فى الواقع المعين فإن ممارسات الدولة الإسلامية والمجتمعات الإسلامية لم تكن دائماً على مستوى هذا المثال الإسلامى فى العلاقة مع الآخر الدينى ولنقل .. إن كثيراً من المسلمين كان يحاول

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٦

(٢) سورة الكافرون الآية ٦

جاهداً تحوين المثل إلى عمل واقعي وتطبيق فعلى حى .. لكن .. لم يكن كل المسلمين ولا كل الحكام على مستوى هذا المثال .. ولم يكن غير المسلمين على مستوى هذا المثال أيضاً .

ومع ذلك ظلت الثوابت التى تحكم علاقة المسلمين بغيرهم موجوده وحية تطبق من حين إلى حين .

فلم يعرف هذا التاريخ الإسلامي إكراهاً فى الدين .. فلقد دخل الشرق بالفتوحات الإسلامية .. فى الدولة الإسلامية خلال سنوات قياسية فى تاريخ الفتوحات .. إذ فتح المسلمون فى ثمانين عاماً أوسع مما فتح الرومان فى ثمانية قرون ولقد كانت هذه الفتوحات الإسلامية تحريراً للشرق – الإنسان والأرض من القهر الديني والحضاري الذي مارسه الرومان والفرس ضد شعوب الشرق على إمتداد عشرة قرون .. ومع هذه الفتوحات الضخمة ترك الإسلام وفاتحيه الناس وما يدينون دونما إكراه بل وفى أحيان كثيرة دونما ترغيب حتى إن أقليات اليوم الدينية قد ظلت أغلبيات غير مسلمة فى الدولة الإسلامية لعدة قرون .

وإذا أخذنا مصر – كنموذج – وهى التى ضربت المثل الأروع فى التمسك بنصرانتها على إمتداد ستة قرون من الإضطهادات الرومانية التى ضربت بها الأمثال .. فإننا نجد أن تحول أغلبية أهلها إلى الإسلام قد استغرق عقوداً طويلة ولم يتم بين عشية وضحاها .

فلقد كان تعداد مصر من النصارى واليهود – عند الفتح الإسلامى لها (سنة ٢٠ هـ) .. ٢,٥٠٠,٠٠٠ نسمة وظل كذلك حتى نهاية خلافة معاوية بن أبى سفيان ٦٠هـ أى بعد ما يقرب من نصف قرن من الفتح الإسلامى كان قرابة نصف المصريين لا يزالون على نصرانيتهم .. فكان تعداد غير المسلمين فى نهاية عهد هارون الرشيد ١٤٩ / ١٩٣هـ أى بعد مرور قرابة قرنين من الزمان على تاريخ الفتح كان تعداد غير المسلمين بمصر .. ٠,٦٥٠,٠٠٠ نسمة أى نحو ربع تعداد السكان البالغ عددهم يومئذ ٢,٦٧١,٠٠٠ وحتى القرن التاسع الميلادى أى بعد قرنين ونصف من الفتح الإسلامى – لمصر – كانت نسبة غير المسلمين فى سكانها ٢٠ % من هؤلاء السكان [١]

وهذا يعنى أن عملية التحول من النصرانية إلى الإسلام تمت ببطء وهدوء شديد ولعل هذا هو السر فى التمسك الكبير بالإسلام من جانب المصريين حيث أنهم قد دخلوه برغبتهم الصادقة وبطمأنينة عقلية صادقة وبقلب قلب كل الأمور قبل أن يسلم .. ولهذا ...

---

(١) أ . د / محمد عماره – الأقليات غير المسلمة فى العالم الإسلامى بحث ضمن حقيقة الإسلام فى عالم متغير وزارة الأوقاف مصر ١٤٢٣هـ ص ١٣٠ ، ١٣١ مع بعض التصرف .

يقول توماس أرنولد ((إنه من الحق أن نقول أن غير المسلمين قد نعموا بوجه عام – فى ظل الحكم الإسلامى بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلة (مثيلاً) فى أوربا قبل الأزمة الحديثة وأن دوام الطوائف المسيحية فى وسط إسلامى يدل على أن الإضطهادات التى قاست منها بين الحين والآخر على أيدى المتزمتين والمتعصبين كانت من صنع الظروف المحلية أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح . (٢)

ليس هذا فحسب ..

بل وأكثر من ذلك فقد كتب علماء وباحثون من النصارى الغربيين عن تحولات الأغلبيات النصرانية الشرقية إلى الإسلام راجع إلى اختلافات الكنائس النصرانية حول طبيعة السيد المسيح – عيسى ابن مريم عليه السلام – تلك الإختلافات التى حولت العقيدة النصرانية إلى أسرار وألغاز جعلتها مستعصية على فهم الجمهور .. فلماذ أشرقت شمس التوحيد الإسلامى على هذا النحو البسيط والفطرى تحولت أغلبيات نصارى الشرق إلى هذا التوحيد – البسيط والفطرى عن رغبة وللإشباع الروحى ولخلو الإسلام من سلطة الكهنوت التى تحتكر مفاتيح التوبة والخلاص ..

---

(٢) المرجع السابق نفسه ص ١٣١ . ١٣٢

تحولت هذه الأغلبيات لذلك نحو الإسلام دونما إكراه بل ولا حتى ترغيب ..

كتب العالم النصرانى – كيتانى يقول ..

" إن إنتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التى جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحى ..

أما الشرق الذى عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة فلقد كانت الثقافة الهلينية وبالاً عليه من الوجهة الدينية لأنها أحالت تعاليم السيد المسيح – عليه السلام – البسيطة الواضحة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة مليئة بالشكوك والشبهات فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس بل زعزعة أصول العقيدة الدينية ذاتها ..

فلما أهلت آخر الأمر أنباء الوحى الجديد فجأة من الصحراء لم تعد تلك المسيحية الشرقية التى اختلطت بالغش والزيف وتمزقت بفعل الإنقسامات المذهبية الداخلية وتزعزعت قواعدها الأساسية واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذا الريب (الشكوك) لم تعد المسيحية بعد ذلك قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد الذى بدد بضربة من ضرباته كل تلك الشكوك التافهة وقدم مزايا جليلة إلى جانب

مبادئه الواضحة البسيطة التى لا تقبل الجدل .... وحينئذ ... ترك الشرق المسيح – وأرتمى فى أحضان بنى العرب .. [١]

لقد أقبل الناس على الإسلام الذى رواه كما يقول سونستيه " عقلانى الجوهر " بأوسع معانى هذه الكلمة وأقبلوا عليه دون أى محاولة للأرغام أو الإضطهاد .

هكذا أقبلت الشعوب على الإسلام بعد أن أزال المسلمون العوائق التى تمنع وصوله إليهم ..

فلما قارنوا مبادئ الإسلام بما لديهم من قيم وعقائد وجدو أن الأمر يختلف كثيراً جداً ولم يكن هناك بد من الدخول فى الإسلام .. هذا الدين الذى لم يكرههم ولم يمنعهم من استخدام عقولهم وأفهامهم وترك لهم الحرية كاملة .. وتعايش معهم بسماحة مطلقة غير مقيدة بأى قيود .. ولهذا انتشر هذا الدين ومازال يكتسب كل يوم أنصاراً جدد [٢]

---

(١) أ . د / محمد عماره الأقليات غير المسلمة مرجع سابق ص ١٣٣

(٢) أ / محمد عطية الإبراشى – عظمة الإسلام – مكتبة الأسرة الهيئة العامة للكتاب القاهرة – ٢٠٠٢ القاهرة ص ٢٨١ وأيضاً . أ د / محمد محمد أبو ليله – موقف الإسلام من الآخر مجلة منبر الإسلام السنة ٦٢ العدد ٢ صفر ١٤٢٤ هـ أبريل ٢٠٠٣ م ص ٨٤ وما بعدها .

وبعد ..

أن الأسلام دعوة عالمية تخاطب الإنسان أياً كان لسانه أو جنسه أو ثقافته أو هويته .

والإسلام لا يخص أمة بعينها ولا يستثنى من عموم خطابه أنه من الأمم أو فرداً من الأفراد .. ولذلك فقد تنوعت الرسائل والطرق التى خلالها عرض الإسلام دعوته على الناس جميعاً دون أن يفرضها على أحد أو يكره أحداً على قبولها ..

هذا هو الإسلام ..

وهذه محبته وسماحته ..

ويسره .. وسهولته .. وكفى ...

الباب الثاني

=========

السماحة في الأديان ودورها في التنمية ..

الفصل الأول ..

السماحة ودورها في التنمية الاقتصادية .

- تمهيد-

ينقسم العالم إلى دول متقدمة وأخرى نامية ..

ويقصد بالدول المتقدمة : الدول الصناعية التي استطاعت بما تملك من إمكانيات مادية وتقنية أن توفر احتياجات مجتمعاتها الأساسية ومستوى عالياً من الرفاهية لشعوبها ..

ويقصد بالدول النامية تلك الدول التي لم تستطيع تأمين احتياجات مجتمعاتها الأساسية وتسعى رغم ذلك إلى تطوير مواردها لسد هذه الاحتياجات ..

ولعل السمة الغالبه لهذه المجتمعات فقر الغالبية العظمى من شعوبها وارتفاع نسبة الأمية وتفشى الجهل وتخلف النظم التعليمية وعدم توافر المياله الصالحة للشرب فى أماكن كثيرة وإنعدام وسائل الصرف الصحى والمياه .

فى معظم الأماكن . وعدم توافر الرعاية الصحية لمعظم الناس إضافة إلى الفساد الإدارى وتفشى الرشوة وغياب تكافؤ الفرص لأبناء الشعب الواحد وارتفاع نسبة البطالة وتدنى الأجور .. وإنخفاض مستوى دخل الفرد .... كما تفتقر الدول النامية للتقنية الحديثة وترزخ تحت وطأة الديون الخارجية وتعتمد كثيراً على المساعدات الخارجية مما يقلل من إستقلالها السياسى فهى تخضع لشروط الدول المانحة والمؤسسات الاقتصادية الكبرى . فهى لاتساعد الدول النامية كرماً وحسن أخلاق .. ومن المعروف أن الدول الاسلامية جميعها تصنف ضمن الدول النامية وأن أغلب شعوبها يعانى من الفقر ويفتقر إلى الاحتياجات الاساسية فالغالبية العظمى من الدول الاسلامية تعانى من ضعف انتاجها الإقتصادى ومن عجز فى ميزانها التجارى ولا تستطيع قيمة صادراتها أن تغطى حاجة الإستهلاك المتزايدة فيها ولم ينج من هذا العجز فى الميزان التجارى سوى الدول البترولية .(١)

أما السكان فى الدول الاسلامية فيعانى معظمهم من دخل منخفض لا يفى بمتطلبات الحياة الكريمة وضعف المستوى المعيشى والغذائى

---

(١) د / رضوان أحمد بيطار – واقع الأمة والحاجة إلى التنمية – مجلة الوعى الإسلامى – الكويت – العدد ٣٨١ جمادى الأول ١٤١٨هـ – أكتوبر ١٩٩٧م ص ٣٥

ونقص الرعاية الصحية وأنتشار الأمية والجهل .. حيث ترتفع نسبة الامية فى العالم الآسلامى لتصل إلى ٧٠ % أو يزيد ..

مثار العجب !!!! :-

أن الباحث ليأخذه العجب لما وصل إليه الحال فى العالم الاسلامى عن تخلف وضعف وعجز إذا علم أن العالم الاسلامى : -

- ينتج ٤٢,٤ % من البترول . ويتحكم فى ٧٢% من أحتياطه العالمى .
- ينتج ٧٥% من الانتاج العالمى من المطاط الطبيعى (فى ماليزيا وأندونيسيا وغيرهما) .
- كما ينتج ٤٧ % من إنتاج القصدير ، ٢٥% من انتاج النحاس فى العالم .
- وينتج العالم الأسلامى ٢١ % من إنتاج الفوسفات فى العالم .
- وينتج العالم الأسلامى ٢٥ % من الابتاج العالمى للخشب .
- كما تنتج الدول الأسلامية من الحبوب الزيتية والزيوت النباتية مايوزاى ٦٠% من الانتاج العالمى .
- تنتج الدول الاسلامية ٢٦ % من إنتاج الجوت ..

- تنتج الدول الاسلامية ٦ % من اليورانيوم والذى يستخدم فى إنتاج الطاقة النووية ..[١]

ومع كل هذه الامكانيات : فهو فقير متخلف جاهل إن لم تمتد له الأيدى بالمساعدات الخارجية يموت فى الحال ..

نعم يعجب الإنسان إذا رأى الحالة التى وصل إليها العالم الاسلامى على الرغم من أمتلاكه لتلك الامكانات الهائلة التى تمكنه من تشكيل قوة عالمية قادرة على تحقيق رفعة وعز للإسلام والمسلمين فضلاً عن تحريرهم من ذل التبعية الاقتصادية للدول المتقدمة وتخليصهم من براثن الفقر والجوع والمرض ليكونوا بالفعل (خير أمة أخرجت للناس)

إن أخراج العالم الاسلامى من عنق الزجاجة واسترجاع الأمة لدورها فى العالم وأدائها لدورها يقتضى من الجميع العمل والمشاركة فى عملية التنمية الشاملة . فالتنمية بمفهومها الشامل أصبحت ضرورة ملحة ولا تحتمل مزيداً من التأجيل والتسويف ..

وأن من المتفق عليه أن التنمية الاقتصادية لاتستمر ولا تؤت ثمارها إلا إذا كانت هناك بيئة مناسبة متماسكة إجتماعياً ومستقره أمنياً . وهذا يعنى توفير المناخ الملائم لإنطلاق رأس المال مع التأكيد على الضمانات

---

[١] د / رضوان بيطار – واقع الأمة – المرجع السابق ص ٣٥

التى تمنع الاعتداء عليه أو إهداره لأن راس المال – كما هو معروف – جبان .

ولقد عملت الدول على سيادة المفاهيم الاقتصادية ووضع المشكلات الأمنية والاجتماعية على رأس الاهتمامات الدولية وذلك لإفساح الطريق أمام عمليات التنمية وخططها ..

ونحن عندما نتحدث عن أثر السماحة والتسامح بين الأديان فى النواحى الإقتصادية لابد وأن نتوقف عند تعريف التنمية الاقتصادية وأهميتها فى الوقت الراهن لمجتمعنا العربى والاسلامى . ثم المصرى على وجه الخصوص وخاصة فى الدراسات والتوجهات المستقبلية لما لها من دور مؤثر فى النواحى الاجتماعية والسياسية .

مفهوم التنمية :-

التنمية هى تحقيق قدر معين من نماء الدخل والثروة .. يصاحبه قدر متناسب من نماء الثقافة والمعرفة .. وارتقاءً بسلوكيات الافراد داخل المنظومة الاجتماعية ..

ولقد أجتمعت أغلب تعريفات التنمية على أنها : -

عملية شاملة تتناول مختلف مقومات المجتمع معتمدة فى ذلك على تخطيط شامل لمختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع القومى وتسير فى اتجاه محدد لتحقيق أهداف محددة الأمر الذى يتطلب عمليات

التنظيم والتنسيق بين مختلف نواحى التنمية لمساعدة المجتمع فى إعادة بناء كاملة وشاملة[١] ..

فالتنمية بناء على ذلك عملية شاملة تستند أساساً على المشاركة الايجابية من جانب أفراد المجتمع مع الحكومة ممثلة فى الهيئات المختلفة سواء أكانت هذه المشاركة فى التفكير والاعداد أو التنفيذ .. وهذا يعنى شيوع الروح المجتمعية داخل المجتمع . وذلك إستناداً إلى شعور الأفراد بالحاجة الماسة إلى ضرورة التغيير لمجتمعهم لتحقيق معيشة أفضل وأسلوب حياة أرقى ومستوى من الخدمات أعلى .. وهذا الترقى لن يتم والأمور تسير كما هى دون تغيير أو تبديل .

وهذا الشعور وتلك المشاركة كفيلان بأن يبرزا بالفعل المشكلات التى يعانون منها وكيفية التغلب عليها وتحديد الحاجات الملمة التى تحقق تنمية حقيقية للمجتمع المحلى [٢] .

وقد ظهر حديثاً مفهوم التنمية المستديمة (المستدامة) وهو يعنى : -

" التنمية التى تلبى حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال القادمة والمقبلة فى تنمية حاجاتهم . "

---

(١) د / أحمد الجلاد – التنمية والبيئة فى مصر – مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ٢٠٠١ ص ٢٣ . وأيضا أ . د / نبيل السمالوطى – الإسلام وقضايا التنمية الشاملة سلسلة قضايا إسلامية وزارة الأوقاف – العدد ٩٦ القاهرة ١٤٢٤هـ ص ٦٤ وما بعدها .

(٢) د / أحمد الجلاد البيئة والتنمية مرجع سابق ص ٢٥ .

فالتنمية المستديمة فى جوهرها عملية تغيير يكون فيها الاستغلال للموارد وإتجاه الاستثمارات ووجهة التطور التكنولوجى والتغيير المؤسساتى فى حالة إنسجام وتناغم . كما تعمل التنمية المستديمة أيضاً على تعزيز أمكانية الحاضر والمستقبل . لتلبية الحاجات والمصالح الإنسانية [١]..

أهداف التنمية :-

١- تهدف التنمية إلى تحقيق حياة كريمة للإنسان تتوافر فيها على الأقل الضروريات والحاجات الإنسانية التى لايمكن الاستغناء عنها (ما تعرف بالحاجات الأساسية) وترفع عنه غائلة الجهل والفقر والمرض والخوف

٢- كما تهدف التنمية إلى جعل الأمة كلها (والدولة جزء منها) قوية قادرة وانتشالها من العجز والفقر والضعف والوهن . وبذلك تصبح المشاركة فى التنمية واجبة على كل فرد من أفراد المجتمع لأنه ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب .

وإعداد القوة بشكل عام – يعنى معالجة جوانب التخلف فى المجتمعات الاسلامية كلها . فإن أى أمة ينتشر فيها الجهل والجوع والفقر والبطالة لايمكن أن تعتبر قوية بحال من الأحوال .

---

[١] نفس المرجع السابق ص ٢٩

٣- تهدف التنمية أيضاً إلى امتلاك الادوات والوسائل وفق أفضل الامكانيات التقنية الحديثة لتبلغ الدولة أقصى ما يمكنها الوصول إليه .
فهذا بالنسبة لها مطلب فتح خاصة فى الظروف الدولية الراهنة وفى مناخ سيادة أفكار العولمة وما يترتب عليه من أثار سلبية على كل الدول الضعيفة والصغيرة .

٤- وهذا مطلب عام – حيث تهدف التنمية بوجه عام إلى أستعادة الدور الريادى للأمة الاسلامية فى قيادة البشرية لتعود إلى أمر الله ومنهجة وشرعه " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً "[1] .

((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) [2].

ولكى يتحقق العدل فى الارض فلابد من سيادة القيم الدينية ومراقبة تحققها وذلك من يتم إلا من خلال عمليات التنمية المستديمة والمستمرة حيث تكون الغاية فيها ومنها سيادة القيم الدينية داخل المجتمعات ..
ولو كانت الغاية كذلك – لما رأينا كل هذه المشكلات العظام داخل المجتمعات[3] .

---

[1] سورة البقرة الآية ١٤٣

[2] سورة آل عمران الآية ١١٠

التنمية الاقتصادية :-

يقصد بالتنمية الاقتصادية :- تنمية مختلف الموارد الاقتصادية المتاحة والممكنة لأقصى درجة وبطريقة أفضل وخلق فرص جديدة للعمل بهدف تحسين الأوضاع الإقتصادية داخل الدولة .. بما يحقق مستوى معيشى أفضل لكافة قطاعات وعناصر وموارد الدولة المتاحة .

والتنمية الإقتصادية بهذا المفهوم لاتنفصل عن التنمية الإجتماعية . فإن لايمكن الفصل بين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للتنمية (١) ..

أسباب ظهور فكرة التنمية الاقتصادية :-

١- إعادة بناء التركيب الإقتصادى والإجتماعى فى العالم وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية .

٢- توفير الإستخدام الكامل – أو على الاقل – القريب منه .. للقوى العاطلة داخل المجتمع حيث لايتم إستيعاب الالاف المؤلفة من جيوش العاطلين الا بقيام تنمية حقيقية سليمة .

٣- إعادة تنظيم فنون ووسائل الإنتاج حتى يزداد الانتاج كما وكيفا .. وهذا أمر لازم لاستمرارية العمالة وتمثلها التمثيل الصحيح .

---

(٣) د / رضوان أحمد بيطار الحاجة إلى التنمية – مرجع سابق ص ٣٥ ، ٣٦ مع بعض التصرف .

(١) د / أحمد الجلاد – المرجع السابق ص ٢٤

٤- ظهور الحركات الفكرية والثقافية التى تطالب بتحسين مستوى الأفراد معيشياً وحضارياً خاصة بدول العالم الثالث أو الدول النامية بمفهومها الحديث . وحيث تستمر التنمية بوجهها الصحيح فإنها بإماكنها أن تكون بالفعل طوق النجاة لدول العالم الثالث وخاصة تلك الدول ذات الأغلبية السكانية المطلقة .

فمثلاً منطقة جنوب شرق أسيا والهند وبها ما يزيد على نصف عدد السكان فى العالم فى الوقت الحاضر . ولولا مشروعات التنمية بهذه المناطق لما رأينا ظهور بعض الطفرات الإقتصادية بتلك المنطقة .

وأيضاً فإن الأمريكيتين وأستراليا لايقطنها سوى ١٥ ٪ من عدد السكان فى العالم مما يمثل عبئاً حقيقياً على المناطق ذات الكثافة السكانية العالية والمرتفعة خاصة أن توزيع الدخول بين تلك المناطق بعضها البعض لايمكن بأى حال من الاحوال مقارنة (١)..

٥- الصراع الدولى . وخاصة بين الدول الكبرى . فى تنمية إقتصادها لكى تحافظ على مركزها الدول فى العالم مما أدى إلى ظهور .. برامج

---

(١) د / سعيد عبد الخالق محمود – التنمية – مجلة الوعى الإسلامى الكويت العدد ٣٦٤ – ذو الحجة ١٤١٦هـ مايو ١٩٩٦ ص ٦٦ ، ٦٧ مع بعض التصرف .

تنميــة ونمــو فــى هــذه الــدول مثــل تنميــة الأنتــاج الزراعــى والأنتــاج الصناعى [٢] ..

وهذا يعنى أن الفكر الإقتصادى نشأ كرد فعل للحاجات البشرية المتزايدة والتـى لاتتوقف .. وهذا يعنـى – أيضـاً- أن التنميـة الاقتصـادية أنمـا تـتم وتتحقـق عـن طريـق أحـداث تغييـرات جذريـة فـى الابنيـة الأقتصـادية والاجتماعية للدول بشرط أن تتناسب هذه التنمية مع ظروف تلك الـدول ولا تختلف معها مما يؤدى فـى النهايـة إمـا إلـى ظهـور ثمارهـا أو الفشـل الذريع .

إن التنمية الاقتصادية تقوم علـى أسـاس التصنيع واعادة هيكلـة السـوق الـداخلى ممـا يحقـق عائـداً ماديـاً يرتفـع بمسـتوى الـدخل لـدى الأفـراد ويحقق عائدات التنمية المطلوبة فى نفس الوقت ..

ويمكن القول بأن التنمية الإقتصادية تقوم علـى التصنيع للسـوق المحلـى الداخلى وذلك بعد أن يتحقق أتساع نطاق السوق وقيام نوع مـن التـوازن بين القطاعات الرئيسية داخل الدولـة . وهى الصناعة والزراعة[١] ..

---

[٢] د / أحمد الجلاد البيئة والتنمية مرجع سابق ص ٢٥

[١] أنظر فى ذلك د / جلال أمين نظريات التنمية فى خمسة قرون مجلة الهلال – القاهرة – العدد الثامن للسنة التاسعة بعد المائة أغسطس ٢٠٠١ ص ٥٢

أخلاقيات الاقتصاد ودور الأديان فيها :.

إذا كان علماء الاقتصاد يقولون بأن الاقتصاد يمثل البنية التحتية للدولة – أى دولة – فإن أخلاقيات الاقتصاد والتعامل السليم يمثلان الجهاز الفقرى لأى أقتصاد كان .

ولقد جاءت الأديان كلها – كما سبقت الإشارة لتعمل على التقارب بين البشر ومنع المظالم ورد المظالم إلى أهلها ومنع الاحتكار والغش والنصب والغدر وغيرها ..

فإنه إذا تعدى أهل الإقتصاد هذه الحدود تحول النظام الإقتصادى إلى مجرد سوط يلهب ظهور المتعاملين فيه ليل نهار – وفقط .

ذلك .. أن تغييب القيم الحاكمة للإقتصاد وسيادة . فلسفة المنفعة فقط (البراجمايتة) لايعنى سوى تضخم رأس المال لدى طائفة معينة وفى نفس الوقت تهميش طوائف كثيرة وشرائح إجتماعية مهمة داخل المجتمع الإنسانى مما يعمل على إيجاد فرص لهذه الشرائح لتحيا حياة كريمة فيما بعد .. ؟

وهو الأمر الذى يؤدى فى وقت ما إلى تنظيم الحالة الاجتماعية . نوعاً ما . ثم ما تلبث الأمور أن تتحول إلى فوضى داخلية وذلك نتيجة لسيطرة فئة قليلة على مقومات الشعوب .

إن أى نظام بشرى عندما يضع قوانين ومبادئه فإنه يحاول أن يطبق هذه القوانين والمبادئ تطبيقاً صحيحاً حتى يلزم المجتمع بها بدءاً من أصغر فرد فى المجتمع وحتى السلطة الحاكمة فالقوانين للجميع وليست لفئة دون فئة ..

إن أى فرد فى المجتمع وفقاً لذلك قادر على أن يخالف نظام المجتمع وقوانينه ومبادئه مادام بعيداً عن أعين الرقباء [١] ..

أما الاديان .. فإن الأمر جد مختلف . ووجه الاختلاف أنما يأتى من صنف الرقابة – فالبشر والقوانين البشرية ذات رقابة خارجية أما الأديان فإن رقابتها داخلية وذاتية أى أن كل فرد رقيب على ذاته وعلى نفسه وهذا الضمير الذى يحكمه إذا أصابة العطب وحل به الفساد فإن الدنيا كلها بقوانينها ومحاكمها لايمكن أن تصلح هذا الفساد .

إن أى نشاط فى الاديان وخاص بها يخضع لرقابتين – وخاصة النشاط الاقتصادى .

رقابة بشرية – ورقابة ذاتية ..

أما الرقابة البشرية .. فنحن نجدها فى مراقبة الحكام والخلفاء للأسواق[٢] .. ولقد ظهرت فى الشريعة الاسلامية وظيفة المحتسب .

---

(١) أ . د . على أحمد السالوس – الإقتصاد الإسلامى هدية مجلة الأزهر المجانية عدد جمادى الأول ١٤١١هـ ص ١٥

وكانت مهمته . مراقبة النشاط الإقتصادى إلى جانب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ..

أما الرقابة الذاتية ..

فهى رقابة الضمير فى داخل الفرد . فهى رقابة مستمرة لا تنفك ولا تنتهى . بل هى دائمة طوال حياة الفرد .. ولذلك فإن الأديان تعمل على توجيه سلوك الفرد ونشاطه الإقتصادى وجعله كسلوكه فى عبادته . وعندما يصبح السلوك الإقتصادى جزء من العباده . فمن المؤكد أن يؤخذ بعداً إيمانياً مستمراً من ناحية ومستقراً من ناحية أخرى .

ولذلك عندما سُئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإحسان قال " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " [٣].

وإذا كان الحديث هنا سينصب على الاقتصاد الاسلامى فإنما يرجع ذلك إلى كون الاسلام جاء خاتماً للأديان .. جاء ليأخذ كل ما فيها وليطبق فى كل زمان ومكان .. فإن أسس الأقتصاد فى الاسلام هى هى نفسها أسس الاقتصاد فى المسيحية واليهودية .. ليس هناك فرق . وحاشاً أن يكون هناك فرق . فإن الأصل واحد وأن الرسالات كلها من الله سبحانه وتعالى

---

[٢] بعد الإستقرار فى المدينة المنورة كان النبى صلى الله عليه وسلم يقوم بنفسه بمراقبة السوق والمرور فيها وتقريع المخالفين .

[٣] الحديث صحيح ومتفق عليه واللفظ لمسلم

ففى الاقتصاد الاسلامى أمور ثابته لاتتغير ولا تتبدل مع ملاحظة أن هذه الثوابت هى هى نفسها فى أى دين سابق .. ومنها

- تحريم الربا والميسر – وحل البيع والعقود شرط سلامتها من الغدر .

فليس لأحد أن يحل ما حرمته الأديان ولا أن يحرم ما أحلته الأديان .

ومن المتفق عليه بين المشتغلين بالفقة الاسلامى أن الأصل فى العبادات " الخطر " وأن الأصل فى المعاملات " الإباحة " ..

وعليه .. فإن كل عبادة ممنوعة ما لم يوجد ما يدل على مشروعيتها ...

وأيضاً .. كل معاملة مباحة ما لم يوجد ما يدل على منعها وحظرها ..

ولهذا .. فقد أتسع الإقتصاد الإسلامى ليشمل كل معاملة جديدة بشرط خلوها من الموانع الشرعية (كالربا والغش – والغدر) .

فإذا كان لابد من الإقتصاد .. فلابد أن ينبنى على الأخلاقيات التى جاءت بها الاديان والاتحول الأمر إلى فوضى وخاف الناس من بعضهم فتتوقف عجلة الانتاج والتبادل والتأثير والتأثر ولانهار البناء الإقتصادى بأكمله ولان الناس لاتستغنى عن التبادل وعن الإقتصاد فيما بينهما يوماً بيوم بل ساعة بساعة . كان لابد من الأخلاقيات التى تحفظ للناس حقوقهم وتأمنهم على أموالهم . وإذا لم يوجد فسيتوقف الأمر عند الخوف المتبادل والطمع المستمر والجشع الدائم . وهو ما لاترضاه الأديان ولا تأمر به ..

لهذا .. احتاجت المجتمعات إلى الأخلاقيات الحاكمة لهذه المعاملات المستمرة . وهذه الأخلاقيات لها الدور الأكبر فى إستمرارية التبادل والدور الأكبر أيضاً فى إستمرار العلاقات الحسنة بين أفراد المجتمع بعضهم البعض وإستمرار دناميكية المجتمعات وتقدمها . ولايمكن بأى حال من الأحوال أن تختفى هذه الأخلاقيات من المجتمع بكامله بل من الممكن أن تغيب بعض الشئ . ثم ما تلبث أن تعود تحت ضغط الحاجة إليها [١] ..

الإيمان وأثره فى العمل والإنتاج :-

جاءت الأديان كلها لتعريف الناس بربهم وحضهم على الايمان به .

ومن مقتضى هذا الإيمان بالله – تبارك وتعالى – أن يعمل المؤمن ما أمره الله به وأن ينتهى عما نهاه عنه .

وهناك خلقان أصيلان يتوقف عليهما جودة العمل وهما الأمانة .. والاخلاص .

وهما فى المؤمن على أكمل صورة وأروع مثال . فالصانع المؤمن ليس همه أن يتكسب بصنعته ولكنه قبل كل شئ أمين على صنعته يخلص فيها جهده ويراقب فيها ربه سبحانه وتعالى . ويراعى حق أخوته .

---

(١) أنظر بتوسع أ . د / نبيل السمالوطى الإسلام وقضايا التنمية الشاملة مرجع سابق ص ١٠٤ مع بعض التصرف .

وهذا هو شعور المؤمن فى كل عمل من أعماله . وأن يؤدى العمل كله ليرضى الله . سبحانه وتعالى .. فإن الله يحب من عبده إذا عمل عملاً أن يتقنه . وهذا الإتقان هو ما نسميه الجودة . وهو العنصر الغائب الأن فى الكثير من الصناعات داخل بلدنا الحبيب الذى نرجو له التقدم والرقى والأزدهار .

إن المؤمن يؤدى العمل كأنه يرى الله .. فإذا لم يبلغ هذه المرتبة فلا أقل من أن يشعر بأن الله يراه وشعار المؤمن دائماً " إنى أرضى ربى " وهذا يعنى فى أخر الأمر الجودة فى الانتاج ودقته وكثرته ثم – وهو الأهم – حدوث نوع من الرواج التجارى للمنتج المحلى بعيداً عن الاستيراد (والتسول) . ويعنى أيضاً فى نفس الوقت زيادة التماسك الاجتماعى داخل المجتمع نفسه وزيادة الدخل القومى لأفراده .. مما يرفع من أسهم النواحى الإقتصادية فى المجتمع .

ولهذا رأينا الاديان كلها تحض على الايمان . بل والتعمق فى الايمان حتى ينعكس هذا الايمان على المجتمع أموراً إيجابية وارتفاعاً عن المحرمات وتمسكاً بالفضائل ..

فالمؤمن الصادق يقف عند حدود الله وبذلك يظل محتفظا بحيويته وطاقته الجسدية والعصبية والعقلية والنفسية – فلا يصرفها إلا فى العمل الصالح أو ما يعين عليه من لهو برئ (١)

والعامل أو الصانع أو المنتج حينما يأتيه الأمر من النبى صلى الله عليه وسلم " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه " فليس أمامه إلا أتقان العمل . لاينظر مع من يعمل ولا لمن يعمل ومهما كانت الظروف المحيطة فإنه يشعر دائماً برقابة الضمير . وأنه مهما طالت به الحياة فإنه راجع إلى الله سبحانه وتعالى وأنه محاسب عما كان بين يديه من العمل .

ولايخفى أثر توجيهات الأديان لأصحابها وأتباعها – بإحسان العمل الدنيوى والعمل الأخروى – فكلاهما لاينفصل عن الأخر مهما كانت الظروف والأحوال – فالتوجه إلى الله أولاً وأخراً .

- إن الأخلاقيات الاقتصادية فى نظر الاسلام هى التى يريدها القرآن الكريم وذلك لأن الحياة فى أى مجتمع تقوم على أساس تبادل المنافع بين الناس فيه لأن القاعدة التى تنبع من ظاهرة التحرك اليومى للعلاقات الإنسانية فى المجتمع هى :- " إن الإنسان لايمكن أن يعيش وحده " .

---

(١) أ . د / يوسف القرضاوى – الإيمان والحياة مكتبة وهبه القاهرة طبعة ١١ لسنة ١٩٩٨ ص ٢٩٨

والتبادل للمنافع فى نظر الإسلام لا يمكن أن يخضع للمنفعة فقط من حيث هى منفعة لأنها قد ترتبط بالمعصية ومن أمثلتها .. " سلوك القائمين بأن الغاية تبرر الوسيلة " .

وقد ترتبط بالانانية ومن ألوانها – إيثار الذات على مصلحة الغير أو مصلحة الجماعة .. وقد نجد كثيراً من المفاسد إذا كانت المنفعة هى الحيثية التى يتبادل الناس على أساسها مصالحهم فى علاقاتهم الإجتماعية فتبتعد الإنسانية بذلك كثيراً عن مميزات كرامتها ..

ولذلك

كان تبادل المنافع فى نظر الاسلام مرتبطاً طرداً وعكساً بالقانون الاسلامى الذى يعتبر النية أساساً فى تقبل الأعمال الصالحة عند الله والذى حدد ألواناً من التعامل كسلوك مرغوب فيه وحرم أشياء كممنوعات على كل من أنتحاها فى سلوكه .

إن القانون الاسلامى . قانون سلوك لاقانون عقوبات فهو يرسم للجماعة كل خطوة فى الحياة ويترك التنفيذ لوازع الدين فى نفس كل فرد .. أعبد الله كأنك تراه .. فإن لم تكن تراه فإنه يراك " .

إن القانون الاسلامى لايركن إلى رهبة الفرد من الحاكم أنما يركن إلى حب الله ورسوله وجماعة المؤمنين ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

" لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما " (١)

" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " (٢).

أما القانون الوضعى .. فهو قانون ارهاب لأنه لايتحدث إلا عن المخالفات ولا يضع فى اعتباره أنه سلوك ولا توبة فيه .ولا عفو عنده للجاهل .

ولهذا .. فإن القانون الاسلامى يعتبر الأخلاق عنصراً أساسياً عند التشريع .. ولهذا يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "(١) ..

وأيضاً .. " إدرءوا الحدود بالشبهات " (٢).

أما القانون الوضعى . فإنه يأخذ بالشبهات وأكثر ما يدعيه أنه لحماية الأخلاق ولكن الذى سنه فى هذا الصدد هو عقوبات للمنحرفين .. وفقط إن القانون الإقتصادى الاسلامى – وكما سبقت الإشارة – يتضمن : -

---

(١) رواه البخارى

(٢) رواه البخارى

(١) رواه الحاكم والبيهقى فى شعب الإيمان والبخارى فى الأدب المفرد

(٢) رواه ابن عدى فى الكامل .. وأيضاً الترمزى

= الحفاظ على تبادل المنافع التى يحتاج إليها المجتمع على مستوى فاضل يحقق الأخلاق الفاضلة وهى فى أدق مفهومها عند المسلم أنها عبادة الله بامتثال أوامره وإجتناب نواهيه ..

= والحفاظ على إستمرار الدورة الإقتصادية داخل المجتمع دون شر أو طمع أو غش .. ودون تضخم فى الميزان التجارى ودون ارهاق بأسلوب العرض والطلب للقوة الشرائية ..

= والحفاظ على جانب من حصيلة الرعاية الاجتماعية . ليقدمها المجتمع عن طيب خاطر وقاية للضعفاء وإبتغاء مرضاة الله – سبحانه وتعالى ..

مشكلة التنمية الاقتصادية :-

ولقد ظهرت فى السنوات الأخيرة بعض المشكلات للتنمية الإقتصادية ومن أهمها ظهور البطالة ومشكلات الفوائد البنكية – والقروض وغيرها من المشكلات التى تمس أمن المجتمع ....

ولحل مشكلة التنمية الإقتصادية فى الوطن العربى والاسلامى يمكن العودة إلى مايلى : -

١- إحياء وظيفة الشركات على النحو الذى قرره الفقة الإسلامى .

٢- انشاء البنوك – وخاصة البنوك الإستثمارية – على نظم المضاربة التى قررها فقهاء الاسلام وبما يتفق مع غايات المجتمع واهدافة ..

٣- تعميم فكرة بيت الزكاة – أو بيت المال – لسد حاجات المجتمع .

٤- قيام وزارة الأوقاف بالتعاون مع الهيئات المسيحية – بإنشاء صندوق القروض الحسن من أموال البر لتخفف عن الناس آلامهم وويلاتهم .

٥- إنشاء جمعيات تعاونية – لتكون بديلاً عن شركات التأمين – لتقوم بنفس الدور لكن بأسلوب دينى عن طريق الاشتراك السنوى (أو الشهرى) وتستغل المدخرات فى مشروعات إنتاجية تنفع المجتمع وترتفع به اقتصاديا . ومنها أيضاً تدفع الإعانات الشهرية عند الظرف المناسب حسبما يتعارف على مبادئه .

٦- إنشاء جمعيات تعاونية للإسكان الشعبي واستصلاح الأراضي وذلك للعمل على استثمار الأموال بربح حلال وتنمية الفائض من العمالة المعطلة ..

٧- المقاصة بين البنوك الاسلامية أو الشركات الاسلامية والبنوك الأخرى عند التعامل بينهم فى عمليات مشتركة .

٨- انشاء مصرف اسلامى دولى – أو مركزى لحماية البنوك الاسلامية التى تعمل على المستوى الدولى [١]..

---

(١) أ . د / رءوف شلبى الاقتصاد فى الإسلام هدية مجلة الأزهر المجانية شعبان ١٤٠٩هـ ص ٦١ ، ٦٢

وبعد ...

فإنــه لايخفــى دور الاديــان فــى الحيــاة العامــة . ولا يخفــى أهميــة اظهــار التقــاء الأديــان مــع بعضــها الــبعض واظهــار الأســس المشــتركة للأديــان جميعاً والنقاط التى تلتقى فيها وذلك لرفـع اللبس والغمـوض الـذى أحـاط بعلاقة الأديان السماوية ببعضها البعض .

ومن الاهمية بمكان إظهار مبادئ السماحة فى الاديان حتى تصبح عامل تجميع وتماسك داخل المجتمع الواحد .. ومن المهم هنا القول : -

ان مصر لها وضعيتها الخاصة التى قل أن نجد لها نظيراً فى العالم كله

" لقد امتاز شعب مصر منذ ألاف السنين بميزات عديدة ومن أهمها : أنه شعب مسالم يميل إلى السلام والامن والاستقرار . لقد استقبل شعب مصر منذ آلاف السنين أنبياء الله فقد تزوج سيدنا إبراهيم عليه السلام بالسيدة هاجر المصرية وأنجبت له إسماعيل جد العرب واستقبلت مصر سيدنا يوسف عليه السلام .

وتربى موسى عليه السلام فى أرض مصر .

ولجأ سيدنا عيسى عليه السلام إلى مصر ..

وتـزوج سـيدنا محمـد – صـلى الله عليـه وسـلم – مـن ماريـة القبطيـة المصـرية .. فالمصـريون لهـم صـلات قديمـة وقويـة بالانبيـاء – علـيهم السلام – وهم أول الشعوب التى عرفت التوحيد وعندما دخل الاسلام

مصر تلاقت طبيعة هذا الشعب – على أختلاف معتقداته . مع طبيعة – الدين الجديد . تلاقت طبيعة هذا الشعب المصرى الآمن المسالم المحب للدين مع طبيعة هذا الدين الاسلامى دين السلام والمحبة والإستقرار وإمتزجت هاتان الطبيعتان فى أعماق شعب مصر حتى يومنا هذا [١]

ولايمكن أبداً أن تنقلب هذه الطبيعة المميزة لهذا الشعب أو تتغير .. فالجميع يحيون فى هذا الوطن بلا تمييز لا فرق بين مسلم أو مسيحى أو يهودى .. فقد أنصهر الجميع فى بوتقة هذا المجتمع وتحول الجميع إلى مصريين .. وليس هناك الآن . إذا أردنا بالفعل تنمية اقتصادية سليمة ومستمرة . من إظهار روح السماحة والتسامح بين الأديان حتى يعود لهذا الوطن شكله الجميل أبداً وبنيته المتماسكة . وحتى تتفرغ البلاد للبناء والتعمير وتجنى ثمار التنمية الشاملة التى تشهدها مصرنا الغالية وينعم الجميع بالأمن والإستقرار [٢] فالامر جد .. لاهزل فيه ..

اما تعاون وتعاطف وتكاتف وتراحم .. وإلا فلا ..

ولو أننا ركزنا على نقاط الإلتقاء وتركنا نقاط الاختلاف لما رأينا الهزات الأمنية التى تكاد تعصف بالمجتمع لابد من التعاون بين الجميع .. ولابد من التركيز على ما يجمع الكل .. لا ما يفرقهم .

---

(١) د / محمود حمدى زقزوق – هموم الأمة الإسلامية – مكتبة الأسرة – القاهرة ١-٢ ص ٥١ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٥٧

الفصل الثاني

السماحة فى الأديان ودورها فى التنمية الاجتماعية

معنى التنمية الاجتماعية :ـ

تعنى التنمية الإجتماعية ، تنمية قدرات الفرد المختلفة إلى أقصى حد ممكن حتى تمكنه من التغلب على الظروف الطارئة . المتغيرة الجديدة وحتى يمكن تحقيق أقصى حد ممكن من إستثمار الطاقات والامكانات البشرية الموجودة لدفع عجلة التنمية الإقتصادية . حيث تعمل التنمية الإجتماعية على تزويد الفرد بمهارات وخبرات جديدة ..

كما تعمل التنمية الإجتماعية على تغيير اتجاهاته وقيمه وعاداته التى تقف عقبة فى سبيل التغيير والتجديد فضلاً عن الاهتمام بظروفه الصحية والتعليميه . كما أنها تهتم بإنشاء تنظيمات جديدة ونظم مستحدثة لكى تفى بحاجات الأفراد وإشباعها بقدر الإمكان وتقديم مختلف الخدمات التى يحتاج إليها الأفراد .. ومن ثم .. فإن التنمية الإجتماعية توفر المناخ الذى تتم فيه عملية التنمية الإقتصادية . من حيث أن العنصر البشرى هو وسيلة التنمية وفى نفس الوقت غايتها ..

والعمليتـان (الإقتصـادية والإجتماعيـة) تهـدفان إلـى تحسـين ظـروف المجتمع ورفع مستواه لتحقيق معيشة أفضل للإنسان [١]

فالتنمية إذن عملية اجتماعية فى المقام الأول .. حيث لايمكن الفصل بين جانبيها الاقتصادى والإجتماعى اللذين يعتبران وجهين لعملة واحدة كل منهما مكمل للأخر . حيث لايمكن أن تحقق أهداف التنمية الاقتصادية دون أن تصاحبها – فى نفس الوقت – تنمية إجتماعية والعكس صحيح ولهذا ..

فإن التنمية الاجتماعية ترتكز على الإنسان . فتعمل على تنمية قدراته المختلفة إلى أقصى حد ممكن حتى تمكنه من التكيف مع الظروف المتغيرة الطارئة الجديدة . وحتى يمكن تحقيق أقصى حد ممكن من إستثمار الطاقات والامكانات البشرية الموجودة لدفع عجلة التنمية الإقتصادية حيث تعمل على تزويد الفرد بمهارت وخبرات جديدة .

فالتنمية الإجتماعية عملة مستمرة تستند أساساً على المشاركة الايجابية من جانب أفراد المجتمع ..

والتنميـة الإجتماعيـة تعتبـر فـى حـد ذاتهـا وسـيلة للارتقـاء بمسـتوى الإنسان حيث تستخدم الطبيعة البشرية لتحقيق هذه التنمية ..

---

[١] د / أحمد الجلاد – البيئة والتنمية – مرجع سابق ص ٢٤ ، ٢٥

وهناك إعتقاد قاصر . وهو أن الإمكانية المطلقة للبيئة قادرة على الوفاء باحتياجات الانسان من الموارد الطبيعية بدون حدود . لكن الواقع يشهد بخلاف ذلك فإن الأمر جد خطير .. فقد أدت التنمية التقليدية والتى استخدمت تكنولوجيا غير مناسبة إلى إستنزاف موارد البيئة الطبيعية أو فى العمليات التحويلية لهذه الموارد إلى سلع وخدمات ضروريه للتنمية مماسبب التلوث بأنواعه . المتعددة [١]

وهكذا يتضح لنا أن التنمية الاجتماعية تركز أساساً على العنصر البشرى وهى بذلك تسير فى خط مستقيم لرفع مستوى كفاءته والارتقاء بالمجتمع من كافة نواحية ..

وبالتالى .. فإن التعايش السلمى بين الأديان يعتبر من أهم روافد التنمية الاجتماعية داخل المجتمع .. ونحن هنا فى وطننا الغالى مصر أحوج ما نكون لهذه التنمية . وأحوج ما نكون لاظهار السماحة والمودة بين الأديان لأهميتها فى العملية التنموية إن مبدأ التكامل الإجتماعى من أهم المبادئ التى نادى بها الاسلام وهى نفسها المبادئ التى نادت بها الأديان السابقة عليه وهذا المبدأ يرتكز على مبدأ بسيط وهو الأخوة الإنسانية وإن أى أفتقاد لهذا المبدأ فى أى عملية تنموية سيؤدى بالتالى

---

(١) د / مصطفى سويف نحو بيئة اجتماعية أفضل – مجلة الهلال – العدد الثانى – للعام السابع بعد المائة فبراير ٩٩ – ص ٢٤ وما بعدها .

إلى فشل هذه العملية وعدم نضوج الثمار المرجوة . وعليه فلا بد عند وضع أى أسس للتنمية الإجتماعية إظهار هذا المبدأ والحث عليه . فالبشر كلهم أخوة . وليس هناك دين لم يركز على هذه الناحية [١].

احترام الأديان والتنمية الاجتماعية :-

إن التنمية الحقيقية هى أن نربى الانسان على الفضائل والقيم وتلك هى رسالة الاديان عموماً ـ لأن الشخص – الفرد – هو اللبنة الأولى فى بناء المجتمع . إذا صلحت صلح المجتمع كله وإذا فسدت . فسد المجتمع كله .. وإن تنمية الإنسان ليست عملاً سهلاً وليست بالشئ الهين السهل .. لأننا نعلم أن بناء المصانع سهل وأن تعبيد الطرق وشق الصخور سهل .. أما بناء الإنسان وإعادة صياغته فإنه أمر صعب .. ذلك أن الانسان قدره عظيم ودوره فى المجتمع خطير .. والأمم الناجحة هى التى تعمل على توفير حياة أفضل لأبنائها وليس هناك مرب أفضل من رجل الدين [٢] لأنه يوجه .. ويرشد ليبنى الإنسان من داخله وخارجه . ليكون هناك أكتمال بين الروح والجسد ..

---

(١) تمام أحمد . التنمية فى اطار تجديد الفكر الآسلامى .. مجلة الوعى الإسلامى – العدد ٣٦٣ – ذو القعدة

١- لانقصد هنا برجل الدين الاسلامى فقط . ولكن . رجل الدين الاسلامى ورجل الدين المسحى ورجل الدين اليهودى – الحقيقى – الذى يعمل من أجل إرتقاء نفسه وأتباعه .. وحينما يتكلم رجل الدين فلا بد وأن يصمت الجميع .

وليحدث ذلك التوزان المطلوب بين مطالب الروح ومطالب الجسد .. ولن يستطيع الإنسان أن يفعل ذلك من تلقاء نفسه بل لابد من موجه يوجهه تكون مهمته تأصيل القيم فى النفوس وتهيئة المناخ العام الذى يعمل على إيجاد الفرد الصالح وينمى فيه روح الولاء للدين والانتماء للوطن وخلق جو من التآلف بين الفرد والمجتمع لأن الأمة مهما أرتقت من الناحية التكنولوجية وما يتبعها فإن التفكك الاجتماعى يقضى على كل تقدم منشود . بل ويعمل على العودة إلى الوراء ..[١]

ولذلك – فإن التأكيد على دور الأديان واحترامها والسعى الحثيث لبقاء هيبة الأديان – ورجال الدين – فى النفوس هى ..

أهم الخطوات فى عملية التنمية الإجتماعية . ويكون ذلك كالأتى : -

أولاً : التأكيد على نقاط الإلتقاء بين الأديان . وهى كثيرة . والعمل دائماً على تقديس هذه الأديان فى وسائل الأعلام بدلاً من تقديمها بصورة مشوهة ومشوشة .

---

(١) لا نقصد هنا برجل الدين الإسلامى فقط ، ولكن رجل الدين الإسلامى ورجل الدين المسيحى ورجل الدين اليهودى – الحقيقى – الذى يعمل من أجل إرتقاء نفسه واتباعه – وحينما يتكلم رجل الدين فلابد وأن يصمت الجميع .

وأيضاً . العمل على إحترام رجال الدين فى وسائل الإعلام . فإن من أكبر الأخطاء التى أرتكبها الإعلام فى السنوات الأخيرة وما قبلها التقليل من قيمة رجل الدين وتقديمة بصورة شائهة مزيفة لاتمت إلى الواقع بأى صلة مما رسب فى نفوس الجماهير عدم أحترام رجال الدين .. وبالتالى عدم احترام الأديان نفسها مما أدى إلى فقدان سطوة الاديان على نفوس أتباعها وبالتالى عدم إحترامها بل . والاستهتار بقيمتها ومبادئها مما أدى إلى تشويه الواقع الفعلى للأديان وأتباعها فرأينا ما نراه الان من أختلاف وتمزق وتشرذم والسبب وسائل الاعلام بتركيزها على النماذج السيئة ..

ونحن هنا ندعو المسئولين عن وسائل الاعلام إعادة النظر فيما يقدمون . وفيما يتركون ..

ثانياً : التقليل من قيمة الاختلافات بين أصحاب الديانات .. ذلك أن الأديان . كما سبقت الاشارة تتفق فى الأصول . لكن الاختلاف فى الفروع لا يبرر أبداً أن توجه إليها سهام النقد الجارحة بهذه الطريقة الجارحة..

وهو ما ندعو إليه دائماً . التركيز على أوجه الاتفاق والابتعاد بقدر الامكان عن نقاط الاختلاف حتى يمكن قبول الجميع فى وطن واحد للجميع .. وإلا .. فلا ..

ثالثاً : العمل بصورة مستمرة على تبيان مظاهر السماحة والرحمة فى الاديان السماوية حيث أن سيادة روح التسامح والسماحة من أهم نقاط التنمية الاجتماعية السليمة والسريعة داخل المجتمع الواحد .

رابعاً : العمل بصورة مستمرة على سيادة مبدأ إحترام الآخرين وتقبلهم وليس الصراع معهم . فإن تعاليم الأديان جميعاً تحض على ذلك ..

" أما إتفاقها وعدم تخالفها فقد ثبت .. وأما ما يراه البعض من إختلاف أهل الأديان فليس من تعاليمها ولا أثر له فى كتبها . بل هو من صنع بعض رؤساء هذه الأديان الذين يتجرون بالدين ويشترون بأياته ثمناً قليلاً ألاساء ما يفعلون ." (١)

وإن البحث الدقيق فى أصول الأديان وإستجلاء غوامضها وما فيها من نقاط الإلتقاء والاختلاف يوضح بما لايدع مجالاً للشك هذا الالتقاء بين الاديان والتأكيد على حرية الأخرين وتقبلهم والتعامل السليم معهم ..

أما مانسمعه بين الحين والاخر من أحاديث عن الصراع الحضارى وما شابه فإنما هو لغو باطل لا أثر له بين أهل الاديان جميعاً ..

---

(١) النص للشيخ / جمال الدين الأفغاني فى / محمود أبو ريه دين الله واحد – مرجع سابق ص ١٠٨

وليس أدل على ما نقول من هذا التعايش السليم السلمى بين أهل الديانات الثلاث فوق تراب هذا الوطن دون صراع أو تشكيك

خامساً : دعم وانشاء جمعيات التقريب بين الأديان فإنها حيز دليل على

إحترام الأديان من جانب الجميع .. ودعم هذه الجمعيات يعتبر عاملاً مهما فى وحدة الوطن والحفاظ على المكاسب الإجتماعية بل وخير معين للتنمية بوجهيها الإقتصادى والإجتماعى .

إن جمعيات التقريب بما تظهره للناس من تآلف وتأخذ بين أهل

الأديان الثلاث جميعاً أنما تعطى صورة صادقة بما يجب أن يكون .

ونحن نعلم أنه قد تأسست جمعية التأليف والتقريب فى بيروت بعد عودة الاستاذ الإمام محمد عبده إليها من باريس – موضوعها – التقريب بين الأديان السماوية الثلاث وإزالة الشقاق من بين أهلها وتعريف . الإفرنج بحقيقة الإسلام من أقرب الطرق . وقد ضمنت هذه الجمعية بين أعضائها علماء كباراً من مسلمى الترك وإيران والهند وبعض كبار الإنجليز . وكان من أكبر أعضائها فى لندن القس " إسحاق طيلر . بل كان هو داعيها الأول فى لندن . ومع ذلك كان الاستاذ الإمام محمد عبده هو صاحب الرأى الأول فى موضوعها وفى نظامها . "[١]

---

[١] أبو ريه – دين الله واحد – مرجع سابق ص ٩٢

ونحن الأن فى حاجة إلى مثل هذه الجمعيات . بل وأكثر للعمل على إعلاء صوت الحق بعيداً عن التعصب المزموم والتفرق المشئوم . وبعيداً عن الكلمات الفارغة التى لا تعنى شيئاً ذا بال من قريب أو بعيد بالنسبة لأصول الأديان السماوية الثلاث .

ومع ذلك .. يبقى القول ..

إن تباين العقائد والاديان حكمة إلهية يصعب على المرء ادراك كنهها وكشف سرها . بيد أن هذا التباين لايحول دون إتحاد القلوب وصفاء النفوس . فمثله مثل الزهور المتنوعة الألوان التى إذا جمعت فى باقة متناسقة بهرت العيون وهزت أوتار الشعور ..

سادساً: إشاعة جو من الحرية للبحث الخالص لأنه بدون حرية فلا مكان للتنمية الإجتماعية الحقيقية ولا مكان أيضاً للنهضة الثقافية والاجتماعية ولا مكان أيضاً للتكامل الاجتماعى داخل المجتمع الواحد .. فالديكتاتورية نقيض التنمية السليمة . وهل يكون تباحث خالص بدون حرية للبحث .. ؟..

إن أهمية التباحث الخالص للتعرف على ما عند الجميع لا تقل أهمية عن التنمية ذاتها ..

وهى أيضاً مهمة للتعرف على ما عند الآخرين . من أصحاب الفكر والعقل المستنير بين أهل الكتاب والمسلمين جميعاً وتعمل على تأليف القلوب وصفاء النفوس بين جميع بنى الإنسان .

وإن خير ما يفعله المسلمون مع غيرهم من أهل الأديان الأخرى هو الأخذ بالقاعدة الصحيحة المعقولة التى وضعها العلامة السيد محمد رشيد رضا حيث قال " نتعاون على ما نشترك فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه " (١)

ولايمكن أن ننسى هنا التأكيد على أهمية دور العبادة فى هذا المجال .. حيث يقوم المسجد – (والكنيسة) بأهم الأدوار فى حياة الأفراد .. ومن الأهمية بمكان أن يتم التأكيد داخل دور العبادة جميعاً (المسجد والكنيسة والمعبد) على فضيلة السماحة والتسامح كمنهج حياتى يمارسه الأفراد يومياً من خلال سعيهم المستمر وممارستهم لأعمالهم وأشغالهم ..

ولا بأس من إعادة التأكيد على أهمية وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة فى هذا المجال وإبراز أهمية التقارب بين الأديان وليس الصراع بينهما وأهمية السماحة والتسامح بين الاديان وأتباعهم فى إقامة مجتمع متماسك متوازن تختفى فيه العصبيات وينتهى كابوس

---

(١) نفسه ص ١٠٤

التعصب والارهاب وتعود القلوب إلى خالقها نقية سليمة . ولا ننسى فى هذا المقام أن مصرنا الغالية تنفرد عن غيرها من دول العالم فى التعايش السلمى بين أهل الاديان السماوية بلا أحقاد أو ضغائن وليس أدل على ذلك من حركة المجتمع وتحركة إلى الأمام بكل ما فيه من علاقات بل ويتجاور أفراد الشارع الواحد دون النظر إلى ديانة هذا أو ذاك . فالكل أبناء وطن واحد يجمعهم السعى إلى تحقيق هدف واحد .. (١)

صورة من قريب: -

وإذا أردنا أن نضرب مثالاً لذلك فليس أدل على ذلك من منطقة مصر القديمة ..

= ففى بقعة صغيرة من الارض لاتتجاوز مساحتها كيلو متر مربع يقوم دليل ساطع على ما عرفته مصر من سماحة وهى أرض الأنبياء . بها أبرز علامات الاديان الثلاثة ، الاسلام والمسيحية واليهودية . شاهد على ذلك تلك البقعة التى ليس لها نظير فى أى مكان فى العالم والتى تضم رموز الاديان الثلاثة .. جامع عمرو بن العاص – أول مسجد أقيم فى مصر وأفريقيا . وأقدم كنائس مصر القبطية كنسية أبى سرجة

---

(١) تمام أحمد – التنمية – مرجع سابق ص ١٣

والكنيسة المعلقة ومعبد بن عيزرا وغيرها من المساجد والكنائس التى تلتف حول حصن بابليون فى مصر عتيقة (مصر القديمة) .

ويدهش المرء . فلماذا هذه البقعة من الارض التى تطل على نهر النيل والتى توالت عليها الاحداث الدينية .. فمنها على ضفاف النيل ألقى النبى موسى عليه السلام فى اليم ولجأ السيد المسيح والعائلة المقدسة إلى أحد كهوفها هرباً من بطش الامبراطور الرومانى .. وأقام فيها الصحابى الجليل عمرو ابن العاص جامعه المشهور .. (١)

وليست الأمور بهذه البساطة المطلقة . فهى ليست مجرد أبنية من الحجر تقام وكفى . ولكن ما وراء الاكمة غير الذى أمامها .. فلولا سيادة روح المحبة والسماحة بين الاديان لما أستمرت هذه المبانى جنباً إلى جنب إلى الان ولحاول أتباع كل دين أن يتخلص من شواهد وأماكن عبادة الدين الآخر . ولولا إستقرار هذا الشعور بالمحبة والسماحة لما وصلت إلينا هذه المبانى سالمة ..

إن هذا المكان تقوم فيه كنيسة أبى سرجة . الكنيسة الأثرية العتيقة التى آوت العائلة المقدسة . وقد عاش السيد المسيح فى فلسطين ولم يغادرها سوى إلى مصر التى أتى إليها فى طفولته فراراً من الامبراطور هيردوس الذى أمر بقتل جميع أطفال بيت لحم الذى قال العراف أن

---

(١) مصطفى نبيل – لقاء الأديان – مجلة الهلال – العام التاسع بعد المائة العدد الثانى ص ٦

أحدهم سيهدد ملكه . فجاءت العائلة المقدسة إلى مصر ومروا بنحو عشرين مدينة كبيرة وقضوا أربع سنوات ..

ولقد ورد فى سفر أشعياء " مبارك شعبى مصر "

وقد أقامت العائلة المقدسة فترة طويلة من مغارة أصبحت اليوم جزءاً من كنيسة . أبى سرجة . ليس هذا فقط . بل يضم المكان عدداً من الكنائس الأثرية التى يعود تاريخها إلى ما بين القرنين الرابع والثامن الميلادين (أى قبل دخول الاسلام وبعد دخوله بنحو قرن من الزمان) . وفى نفس هذه البقعة المقدسة وضعت أم موسى وليدها فى التابوت وألقته فى اليم وإحتجزت سيقان البردى الصندوق ورأته إمرأة فرعون فأمرت بإحضاره . لذا أقيم معبد يهودى يسمى معبدبن عزرا وكان يعرف بمعبد الشوام حيث يستقبل اليهود القادمين من الشام . وأقيم أيام مصر الطولونية (بعد دخول الاسلام مصر بكثير بنحو قرنين من الزمان) وبالمعبد مخطوطات قديمة للتوراة والمزامير التى كتبت على جلود الغزلان .. إن هذه المعالم الدينية للأديان الثلاث يلمس الزائر لها مدى ما تتمتع به مصر من سماحة وتعايش . ويرى بأم عينيه تعانق الأديان وتعايشها (١)

---

(١) مصطفى نبيل لقاء الأديان سابق ص ٧ ، وأيضاً بنفس العدد مقال د / أيمن فؤاد سيد لقاء الأديان على ضفاف النيل ص ٩٨ وما بعدها .

مـع بعضـها البعض دون عنـف أو تطرف أو حتـى مجرد تعصب .. إنـها خصوصية المجتمع الصمى الحقيقى الذى يحمل السمات الحقيقيـة لشعب مصر الودود المتسامح المحب لبعضـه دون النظر إلـى دين أو قوميـة وهذه هى مصر طوال تاريخها ..

خصوصية المجتمع المصرى : -

فى دراسة رائدة عن " رؤى العالم فى المجتمع المصرى المعاصر " قام بها المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية فى مصر وقام بها د/ أحمد أبو زيد . تطرق فيها إلى علاقة المصريين ببعضهم البعض . وخاصة العلاقات بين أهل الأديان الثلاث فى مصر ..

نقتبس منها مايلى : -

يقول الدكتور أحمد أبو زيد : -

" وكان لابد فى مثل هذه الدراسة الشاملة أن يتطرق البحث إلى موضوع علاقة المسلمين والأقباط من وجهة نظر الأشخاص الذين تم إختيارهم حسب معايير موضوعية من مختلف شرائح المجتمع وكانت التساؤلات الخاصة بموضوع العلاقة بين المسلمين والأقباط تتناول عدداً من النقاط المهمة تتلخص فى : -

إلـــى أى حـــد يعكـــس الإنســـان المصـــرى – بصـــرف النظـــر عـــن ديانته – الخصـائص والمقومـات الفيزيقيـة والثقافيـة والإجتماعيـة لهذه المجموعة ؟.

وعلى ذلك . تطرقت التساؤلات حول طبيعة العلاقة التـى تـربط المسـلمين والأقبـاط فـى المجتمـع المصـرى ونظـرة الاقبـاط إلـى المسـلمين وإلـى أنفسهم والعكس أى نظرة المسلمين إلى الأقباط وإلى أنفسهم ..

وكانت هذه التساؤلات تثير إهتمام – بل تحمس الأشـخاص الـذين أجـرى عليهم دينـهم البحث وفيهم مسلمون ورجـال ديـن اسـلامى ، ومسيحيون ورجال دين مسيحى .. ثم عدد من اليهود القلائل الذين مازالوا يعيشون فى مصر .

وعلى الرغم من أن الموضوع بطبيعتـه شـائك وحسـاس – أو هكذا كنـا نتصور – إلا أن الثقة المتبادلة بين أطراف الحـوار كانت كفيلـة بالتغلب على كل الصعاب .[١]

الأمر الذى ظهر واضحاً وجلياً من خلال تلك اللقاءات والحوارات هو أنـه ليس هناك أى أحساس من جانب المسيحين بأنـهم أقلية .. أو حتـى بـأنـهم أقلية لها وضعها داخل المجتمع بل كان الإحساس المسيطر بأنـهم – مع

---

[١] د. احمد ابوزيد – تاملات فى مسألة الاقليات . مجلة الهلال العدد السبع لنعد الثانى بعد المائة[؟] يوليو ١٩٩٤ ص ٤٠ - ٤١

إخوانهم المسلمين – هم نسيج هذا الوطن .. وكما نعلم فان النسيج المتكامل هو الذى لاتظهر فيه أية عيوب .. مهما كانت ..

واللافت للنظر أن هذا إحساساً مشتركاً بين الجميع بما يشكل خصوصية مصرية للمجتمع المصرى فقط ألا وهى التعايش السلمى الحقيقى بين أتباع الديانات دونما إكراه أو أرهاب أو تعصب ..

نعم .. قد تقع بعض الحوادث هنا أو هناك لكنها فى النهاية تظل حوادث فردية لا تأخذ صفة الاستمرارية والتواصل لكنها أشبه ما تكون زوبعة فى فنجان ما تلبث أن تنتهى ثم تختفى ليعود الصفاء والمودة ثانية إلى أطراف هذا المجتمع ..

وإن هذه الحوادث مهما قيل فى شأنها لاتؤثر فى حركة المجتمع وثباته وإستقراره . بل وتلاحمه ومن المنطقى أن هذا التلاحم القوى والتماسك المتين لم يأت فجأة ولم يظهر بين يوم وليلة .. لكنه كان نتيجة فعلية لعلاقات المودة التى ساعت تعامل الجانبين بإستمرار مما جعل أى حادثة تقع مهما كانت صغيرة تنال من الجميع الإدانة والرفض . فما بين الجميع أقوى بكثير من أى أحقاد فردية . وأقوى بكثير من أى نزعات أنانية فالخصوصية المصرية هنا . هى تقبل الآخر – دون النظر إلى ما يدين به . والتعامل معه بأدب وسعة صدر . بل ومشاركة فى أفراحه وأحزانة وجميع مواسمة بل وصل الأمر إلى ان يصبح قادة كل فريق

صنيف دائم لغيره من الفرق والطوائف . وهو أمر قلما نجده فى أية بقعة أخرى غير مصر .. مهما قيل عن هذه البقعة أنها متقدمة ومتحضرة ..و..و..و.. .. لكنها فى تعاملاتها وتماسكها وترابطها لاتبلغ معشار ما بلغته مصر فى هذا المجال ..

وأين فى العالم كله .. دولة بهذا الحجم بها ٩٢% من المسلمين ثم يسود الجميع هذه الروح الطيبة والتعامل المؤدب والسلوك الحضارى .. أين ؟ .

لقد حاول البعض أن يظهر المسيحين على أنهم أقلية وأنها أقلية مظلومة ...

من الذى قام بالرد على ذلك .. أنهم النصارى أنفسهم ..

لماذا؟ .

لأنهم يعلمون أنهم من نسيج هذا الوطن .. وأن أى خلل فى هذا النسيج سيؤدى إلى عواقب وخيمة لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى ..

لقد عاش الأقباط والمسلمون منذ الفتح العربى وحتى اليوم كأسرة كبيرة واحدة يسودها الحب والوفاء والاخلاص إلى كافة مناحى الحياة . ويبدو هذا الترابط بأجلى صورة فى الريف المصرى حيث تتعانق بيوت الأقباط مع بيوت المسلمين (وحيث تلتصق المساجد مع الكنائس) ويشتركون

جميعاً فى معيشة واحده فـى السراء والضراء مزجتهم حتـى أصبح من المستحيل التفريق بينـهم " (١)

ليس هذا فقط .. ولكن ..

ليس بين الأقباط والمسلمين فروق فى الاصل والعرف والجنس والشكل . بل الاثنان يكملان بعضهما بعضاً ويتكاملان فـى تـاريخ وتـراث ونسيج هذه الأمـة الـذى هو نسيـج واحد خيوطـة متداخلـة متشـابكة من الصـعب التفرقـة بينـهـا ومـن المستحيل فصلها وأى نـزاع بينـهمـا لايـنجم عنـه إلا تفكك خيوط ذلـك النسيـج وتمزق المجتمـع وأى شـقاق بينـهمـا لايمكن أن يـتم إلا بتمزيـق ثـوب مصـر وتعريتهـا وإهـدار لكرامتهـا .. فـأفراد ذلـك المجتمع شعب واحد كلـهم مصريون قبل كل شئ وأنتماؤهم لمصر راسـخ وولاؤهم لهـا كـان وسيظل عميقاً وعليهم أن يتصدوا معاً لأى محاولـة لإثارة الفرقة .. فهم أقلية وأغلبية من حيث الأصل أو التراث أو الملامـح أو الأجناس وليس بينـهما أى فروق عنصرية أو أنثربو لوجيـة أنمـا هم أصل واحد وشعب واحد تحدى كافة المعتدين .. (٢)

---

(١) د. ادوار لوهبى – النموذج المصرى . مرجع سابق . صـ ٦٠ .

(٢) من مقال الدكتور / ليلى بالاهرام ١٩٨٧/٨/١٠ . فى – النموذج المصرى . المرجع السابق صـ ٦١ ..مع بعض التعرف

لقد ساعدت الطبيعة الجغرافية لمصر على وحدة شعبها وتداخل جميع أبنائها فى نسيج واحد . فوادى النيل المنبسط لايفصل بينه جبال ولا وهاد والصحارى الواسعة حول الوادى كانت عازلاً يجعل شعبها ينظر إلى الداخل لا إلى الخارج ويتصل بنفسه أكثر مما يتصل بسواه . كما أن أرتباط الحياة اليومية كلها فى مصر كانت متصلة بمصدر واحد هو نهر النيل فكان على كل سكانه أن يتعاونوا ويتفاهموا لا أن يتخاصموا ويتنابذوا . كما أن السهل المنبسط لم يعط مجالاً عبر التاريخ لأن تتشكل هنا أو هناك مجموعات متباينة أو تتحصن هنا أو هناك أقلية أو أغلبية .. فلا توجد فى مصر – كما فى بلاد أخرى كثيرة- مناطق سنية ومناطق شيعية . أو مناطق مسلمة . ومناطق مسيحية . [١]

إن الخصوصية المصرية هنا هى تقبل الأخر والتعامل المؤدب والمظهر الحضارى فى العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع . بل النظر إلى الجميع على أنهم أبناء هذا الوطن .. وفقط ..

وإذا كانت هناك بعض الهفات – كما سبقت الاشارة والتى تظهر بين الحين والحين إلا أنها تظل فى مجملها أعمالاً فردية لاتصور السلوك العام ولا السلوك السليم لبقية أفراد المجتمع ولا لبقية أفراد الجماعة الإنسانية الواسعة التى ينتظمها هذا المجتمع ..

---

[١] من مقال للاستاذ / أحمد بهاء الدين . فى – النموذج المصرى للوحدة الوطنية . مرجع سابق صـ٦٣.

والامر الذى نؤكد عليه هنا أن هذه المعاملة الودودة المحبة والمتسامحة نتيجة لتعاليم الأديان ...؟ نعم أنها نتيجة حتمية لما سقناه من تعاليم للأديان تبشر الجميع بأن سيادة روح المودة والمحبة هو الأساس فى قيام مجتمع متآلف رغم ما يبدو ظاهرياً من تفكك داخل هذا المجتمع فإن المحصلة النهائية لعلاقات أفراده هى التنوع فى أطار الوحدة الاختلاف نعم .. لكن العداء .. لا . (١)

عود على بدء

التنمية .... التنمية !!!! :-

إن كل ما سقناه سابقاً أنما يؤكد على حقيقة واحده وهى أن التنمية الاجتماعية لابد لها من مجتمع متماسك لتؤدى أغراضها فيه ولتؤتى ثمارها .

وإن خير مايؤدى إلى ترابط المجتمع شيوع روح السماحة والتسامح داخل هذا المجتمع والابتعاد عن التعصب والتطرف والبعد عن كل مايعكر صفو الوحدة الوطنية للمجتمع والتكامل الإجتماعى لهذا المجتمع بكل طوائفه وفئاته .

ذلك أن الأديان بطبيعتها تميل إلى تغليب الجانب الاجتماعى ولا بأس أن تنقل هذه الصورة الجميلة لعناية الأديان بالجانب الاجتماعى ..

---

(١) د / أحمد أبو زيد . الأقليات وحكاية الطبق المكور – مجلة الهلال . القاهرة . عدد . أغسطس ١٩٩٤ صـ٣٢ وما بعدها .

" فقد نقلت المصادر الاسلامية أن الصحابى الجليل عثمان بن مطغون رضى الله عنه ظل وفياً لكلمة الايمان التى نطق بها أمام النبى صلى الله عليه وسلم طيلة ست سنين من عمر الدعوة الاسلامية ولكن أعماقة كانت تعتلج باحثة عما يثلج صدره من الناحية الاجتماعية فى تلك التعاليم المنزلة إلى أن نزل قول الحق سبحانه وتعالى ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون .))[١]

فلما نزلت الآية قال : الآن أستقر الايمان فى قلبى وقلت فى قرارة نفسى :- إن ديناً جاء لينظم الحياة الاجتماعية هو دين من عند الله لا من عند محمد .

فإنه إذا كانت التنمية البشرية تعنى توسيع قاعدة احتياجات البشر وإشباع الحاجات الإساسية فإن ذلك لا يتم دون وجود تنمية اجتماعية قوية وسليمة داخل المجتمع نفسه ويترتب على ذلك وجود التنمية الإقتصادية – أى أن العملية كلها – متراكمة – تنمية اقتصادية تقوم على تنمية اجتماعية تقوم بدورها على تنمية بشرية سليمة .

---

[١] الآية ٩٠ من سورة النحل

وهنـا – كمـا اشـرنـا آنفـاً – يـأتى الـدور التنمـوى للأديـان وأيضـاً دورهـا الإجتمـاعى القـوى فـى الحفـاظ علـى تـوازن المجتمـع وبالتـالى تماسكه .

وإذا نظرنا نظرة لتعاليم الأديان فإننا نجد أنها كلها تحض على هذا التماسك الإجتماعى .. بكل ما تعنيه الكلمة ولعل أقرب الأمثلة هذه الآية التى ذكرناها آنفاً وهى قول الحق سبحانه وتعالى ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)) فإن القضايا الاجتماعية الثلاث المتضمنة فى الآية وهى التي يأمر بها الحق سبحانه وتعالى هى ..

١- العدل : فالعدل قيمة اجتماعية تمس صميم الحياة الاجتماعية للفرد والمجتمـع فـلا يمكـن تصـور العدل إلا ضمن شبكة من العلاقات الاجتماعية التى تحكم الأفراد والجماعات وذلك إضافة إلى أن صفة العدل لازمة للمجتمعات الراشدة التى تؤكد على كرامة الفرد والمجتمع .. كأن العدل هو الذى ينظم تعاملات الأفراد داخل المجتمع وبين الإفراد داخل المجتمع .. وبين الأفراد بعضهم البعض

٢- الإحسان : و الإحسان مستوى روحانى وأخلاقى وعقدى وسلوكى وهو فضلاً عن ذلك أحد معايير التفاضل للقرب من الله سبحانه وتعالى .. لكنه مع ذلك قيمة إجتماعية حقيقية ذات محاور خمسة : المحسن ، والمحسن إليه ، منهج الاحسان ، ووسيلة الإحسان ، إثارة وتأثراً فيه . وهذه الأركان الخمسة لا يمكن تحقيقها إلا ضمن سياق إجتماعى سوى مستقيم وإلا ضمن مجتمع متماسك متآخ محب لبعضه البعض .

٣- إيتاء ذوى القربى .. وهو فرع تطبيقى فى عملية الإحسان الكبرى .. بل هو أخص وأدق للتدليل على إجتماعية الأديان

فإن تطبيق مبدأ إيتاء ذوى القربى يقتضى بالضرورة إحداث صلات إجتماعية معينة تتم على المستويين المعنوى والأدبى والإجتماعى والسلوكى ..

ليس هذا فقط ..

بل إن المنهيات فى بقية الآية تؤكد على نفس المعانى الإجتماعية [1] ..

---

[1] د / أحمد عيساوى – البعد الإجتماعى للدين الإسلامى – مجلة الوعى الإسلامى العدد ٤٥٨ شوال ١٤٢٤ ص ٤٥

فإن تماسك المجتمع وقوته وإستمراريته تجعل هناك رقابة ذاتية داخل المجتمع بحيث يقف أفراد المجتمع ضد ما من شأنه أن يؤثر فى ترابط المجتمع أو يمس أياً من روابط المجتمع .

وعليه ..

فإن التنمية الاجتماعية الحقيقية هى التى تتوجه إلى الفرد لرفع مستوى سلوكه إلى أقصى حد ممكن وأيضاً الحفاظ على قيم ومسلمات المجتمع الذى يحيا فيه الفرد بحيث تصبح عملية التنمية عملية اجتماعية قوية ومستمرة داخل المجتمع وإذا كانت الأديان تحرص على هذه النقطة فما ذلك إلا لطبيعة هذه الأديان ودورها فى التماسك الإجتماعى .

****

****

****

خاتمة الكتاب

بعد الذى قدمنا فى الصفحات السابقة يمكننا القول بأن نقاط الإلتقاء بين الديانات السماوية وأصحابها أكثر بكثير من نقاط الإختلاف .

وأن المجتمع المصرى الذى ينفرد بخصوصية التعايش السلمى بين أصحاب الديانات المختلفة لا بد له لكى تستمر هذه الميزة من التأكيد على مبادئ السماحة والموده فى الخطاب الإعلامى والخطاب الدينى سواء بسواء وأيضاً الحفاظ على شخصية رجل الدين وتقديمها فى صورة محببه إلى النفوس وليس تقديمها بهذه الصورة المزرية .. !!

وأنه إذا كانت التنمية تهتم ببناء الإنسان بناءاً سليماً وصحيحاً فإنه لابد وأن تركز برامج التنمية على نقاط الإلتقاء هذه وذلك حتى يستمر النسيج المصرى سليماً قوياً لا تنفذ منه خطط المتآمرين مهما كانت قوتها ..

وعلى الرغم من صعوبة برامج التنمية الإجتماعية إلا أن الأديان تسهل هذه المهمة وذلك بالبعد الإجتماعى لهذه الأديان وما تقوم من وصايا لازمة لحركة المجتمع وإستمراريته وسلامته .

وإن إظهار مظاهر السماحة والتسامح بين الأديان السماوية الثلاث لمن أكثر العوامل دفعاً لبرامج التنمية الإجتماعية وإستمراريتها ..

ليس هذا فقط .. فإنه لا يمكن الحديث عن تنمية اقتصادية حقيقية بعيداً عن سيادة روح السماحة والتسامح بين الأديان .. ولا يمكن الحديث أيضاً عن اقتصاد بدون أخلاقيات لهذا الاقتصاد وإلا تحول الأمر إلى فوضى أخلاقية ..

وإذا كانت الأديان كلها ترتكز على موضوع العقيدة والإيمان بالله .. فإنها أيضاً تؤكد أن هذا الإيمان لا يمكن أن يكون مجرد كلمات تقال بل لابد وأن يكون سلوكاً وواقعاً معاش وأسلوب حياة يجعلها تختلف عن حياة أولئك الذين لا يؤمنون بالله لابد وأن تكون حياة المؤمنين أطهر وأنقى وأعف يتدخل الدين ليواجه مسيرة الحياة وليرسم طريق المستقبل أما أن ينزوي الدين داخل الجدران ويترك الفرد بلا توجيه لسلوكياته داخل المجتمع.. فإن الأمور بالتأكيد ستسوء، وتتحول القيم الحاكمة إلى قيم نسبية، ويتحول الدين من عامل تجميع إلى عامل تفكيك، ويتحول إتباع الأديان إلى إعداد في الواقع الفعلي المعاش.

إن المطلوب هو أن نتعرف على ديننا أكثر من ذلك .

الكاتب

السيد الصوري

مصادر الكتاب ومراجعه

١- القرآن الكريم .

٢- الكتاب المقدس .. (العهد القديم – والعهد الجديد)

٣- بعض كتب السنة المعتمدة .

٤- د / يوسف القرضاوى – الإيمان والحياة – مكتبة وهبة القاهرة ط١١ ، ١٩٩٨م .

٥- محمد عطية الإبراشى : عظمة الإسلام – مكتبة الأسرة القاهرة ٢٠٠٢ – الهيئة العامة للكتاب .

٦- أ . د / محمود حمدي زقزوق – هموم الأمة الإسلامية مكتبة الأسرة القاهرة ٢٠٠١ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٧- د / عبد الكريم الخطيب . التفسير القرآني للقرآن – دار الفكر العربي – القاهرة.

٨- د / أحمد محمد الحوفى – سماحة الإسلام – دار نهضة مصر للطباعة – القاهرة ط الثالثة ١٩٩٨م .

٩- د / وليم سليمان قلادة – المسيحية والإسلام على أرض مصر – كتاب الحرية التاسع ط. الأولى القاهرة ١٩٨٦ .

١٠- د / أدوار غالى الدهبى : النموذج المصري للوحدة الوطنية مكتبة الأسرة . ١٩٩٨ الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة .

١١- د / أحمد الجلاد – التنمية والبيئة في مصر – مكتبة الأسرة ٢٠٠١ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة.

١٢- الشيخ / منصور الرفاعى عبيد – الدعاة والتنمية الاجتماعية – مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة ط الأولى ١٩٩٧م.

١٣- أ . د / نبيل السمالوطى – الإسلام وقضايا التنمية الشاملة سلسلة قضايا إسلامية وزارة الأوقاف القاهرة العدد ٩٦ – ١٤٢٤هـ.

١٤- د / رؤوف شلبي – الاقتصاد في الإسلام – هدية مجلة الأزهر المجانية – شعبان ١٤٠٩هـ.

١٥- د / محمد سليم العوا – الإسلام والأقباط – دار الشروق – القاهرة ١٩٨٧م

١٦- وزارة الأوقاف – سماحة الإسلام وحقوق غير المسلمين – القاهرة ١٤١٤هـ.

١٧- د / على السالوس – الاقتصاد الإسلامي ودور الفقه في تأصيله هدية مجلة الأزهر المجانية جمادى الأول ١٤١١هـ.

١٨- مجلة الوعي الإسلامي – الكويت – الأعداد

١- ٣٦٣ – ذو القعدة ١٤١٦هـ

٢- ٣٦٤ – ذو الحجة ١٤١٦هـ.

٣- ٣٨١ – جمادى الأول – ١٤١٨هـ.

٤- ٤١٤ – صفر ١٤٢١هـ.

٥- ٤٥٨ – شوال ١٤٢٤هـ .

١٩- مجلة منبر الإسلام – القاهرة الأعداد :

أ – العدد ٢ للسنة ٦٢ – صفر ١٤٢٤هـ .

ب- العدد ٩ للسنة ٦٢ – رمضان ١٤٢٤هـ

٢٠- مجلة الهلال – القاهرة – الأعداد : -

أ – العدد ٧ للسنة ١٠٢ – يوليو ١٩٩٤م .

ب – العدد ٢ للسنة ١٠٧ – فبراير ١٩٩٩ م .

جـ - العدد ٨ للسنة ١٠٩ أغسطس ٢٠٠١م .

٢١-مجلة الثقافة العربية – ليبيا العدد ٥ للسنة ٣ – مايو ١٩٧٦م .

٢٢- مجلة الدوحة – قطر – العددان ١١٩ ، ١٢٠ نوفمبر ، ديسمبر ١٩٨٥م .

بالإضافة إلى بعض المراجع التى ذكرت في هوامش الكتاب ولم نذكرها

سيرة ذاتية

الاسم : السيد على أحمد الصورى .

الشهرة : السيد الصورى .

المؤهلات : بكالوريوس المعهد العالى للكفاية.

دبلوم الدراسات العليا فى الإدارة

* عضو عامل برابطة الأدب الإسلامى العالمية .
* باحث وكاتب إسلامى .
* عضو النقابة العامة للعاملين بالصحافة والطباعة والنشر .
* عضو جمعية رعاية المواهب المصرية .
* عضو عامل بنادى الأدب بقصر ثقافة الحسينية – شرقية
* عضو جمعية كفالة الطفل اليتيم .

كتب منشورة للمؤلف

١- الإعجاز العلمي فى القرآن .

٢- علامات يوم القيامة .

٣- السماحة فى الأديان ودورها فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية

٤- ديوان حب ودخان .

٥- ديوان رغبة بلا حب .

٦- الحب والثورة فى أشعارهم .(دراسة أدبية)

كتب تحت الطبع

١- الجاليات الإسلامية فى أوربا – الواقع والمستقبل .

٢- المسلمون فى الإتحاد السوفيتى .

٣- الحرية فى الإسلام .

٤- المسلمون والقدس .

٥- ديوان علمتنى إمراة – مع الشاعر سيد سلام .

أبحاث ودراسات منشورة

١- مجلة المنهل – السعودية .

٢- مجلة الرابطة الإسلامية – السعودية .

٣- المجلة العربية – السعودية .

٤- جريدة أخبار العالم الإسلامي – السعودية .

٥- مجلة الوعي الإسلامي – الكويت .

٦- مجلة منار الإسلام أبو ظبى .

٧- مجلة الأدب الإسلامي – السعودية .

٨- مجلة فجر الإسلام – لبنان .

الجوائز الحاصل عليها

١- جائزة خدمة الدعوة والفقة الإسلامي .

٢- جائزة الشيخ صالح كامل للاقتصاد الإسلامي .

٣- جائزة وزارة الشباب (قطاع إعداد القادة) المسرح – الشعر – القصة – البحوث الدينية والثقافية .

٤- جوائز عدة من الإتحاد الإقليمي لمراكز شباب المدن فى القصة والبحوث الإسلامية.

٥- جوائز عدة من مؤسسة اقرأ الخيرية.

٦- جوائز من الأمانة العامة للحزب الوطني .

٧- جوائز عدة من أكاديمية البحث العلمى .

٨- جوائز من جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة .

ت : ٠١٢٢٣٩٦٦٩٩٣

الفهرست

حقوق الطبع محفوظة لدار النجاح
ت / ٢٧٧٦٧٣٣ / ٠٥٥
تصميم الغلاف
دار الشريف للطباعة والنشر
رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٠٢٩ / ٢٠٠٣م